جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدسوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg

مجلة الدراية
مجلة علمية محكمة ربع سنوية

العدد الخامس والعشرين [أكتوبر ٢٠٢٤م]

"جَمَالُ القُرْآنِ فِي الإِبْقَاءِ عَلَى مَا كَانَ لأَهْلِ مِصْرَ مِنَ الأَلْفَاظِ"

"دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مِنْ خِلالِ سُورَةِ يُوسُفَ"

إعداد

د/ مُحْمَد سَعِيد أَحْمَد حُسَيْن دَيْغَم

مُدَرِّسُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ بِكُلِّيَّةِ الدِّرَاسَاتِ
الإِسْلَامِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ لِلْبَنِينَ بِدُسُوق

"جمال القرآن في الإبقاء على ما كان لأهل مصر من الألفاظ، من خلال سورة يوسف، دراسة وصفية تحليلية"

محمد سعيد أحمد حسين ديغم.
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق – جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني : Mohamedsaid.2030@azhar.edu.eg

الملخص:
جاء البحث للحديث عن الفترة التي كان فيها يوسف –عليه السلام– في مصر، والدقَّة التي استخدمها القرآن الكريم للتعبير عنها، وهو ما يستدعي كثيرًا من النظر والتأمِّل، ومزيدًا من البحث والتدبُّر، فلم يكن هناك حرجٌ في ذكر ما كان مشاعًا من الألفاظ والألقاب، وهو جمالٌ من القرآن الكريم في تقدير وإظهار هذه الحقبة الزمنية التي كان يسودها العدل حتى قبل دعوة يوسف –عليه السلام– لتوحيد الله تعالى، ثم جاءت دعوته للتوحيد، ومما يُتعجَّبُ منه؛ وهو مجيء هذه الألفاظ أحيانًا على لسان يوسف –عليه السلام–.
وقد ذكرت بعض المطالب المتعلقة بسورة يوسف –عليه السلام–، ثمَّ الدراسة المقصودة من البحث، وهي الألفاظ والألقاب في سورة يوسف، وهي: لفظ "السجود"، ولفظ "الرَّبِّ"، ولقب "السيد"، ولقب "العزيز"، ولفظ "الخمر"، ولقب "الملك"، ولفظ "الدين".
وعرَّضت للحديث عن الألفاظ والألقاب التي حرص القرآن الكريم على ذكرها، وعدم ذكر ما يُعوِّضُها، ومن خلال الدراسة والبحث تبيَّن لنا جمال القرآن الكريم في حرصه الشديد على ذكر ألفاظ القوم، ثم التعرض للحديث عن مظاهر العدل التي تدلُّ على وجود حكمٍ يسوده العدل النظام والتشريع الذي ينظم حياة الناس.
الكلمات المفتاحيَّة: السجود، الربُّ، العزيز، الخمر، الملك.

"The beauty of the Qur'an is in preserving the words that the people of Egypt had, through Surat Yusuf, a descriptive and analytical study."

Muhammad Saeed Ahmed Hussein Degham.
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, College of Islamic and Arabic Studies for Boys, Desouq , Al-Azhar University , Egypt.
Email: Mohamedsaid.2030@azhar.edu.eg

Abstract:
The research came to talk about the period during which Joseph - peace be upon him - was in Egypt, and the precision that the Holy Qur'an used to express it, which requires a lot of consideration and contemplation, and more research and contemplation. There was no embarrassment in mentioning the common words and titles. It is a beauty from the Holy Qur'an in appreciating and showing this period of time in which justice prevailed even before Joseph's call - peace be upon him - for the monotheism of God Almighty. Then his call for monotheism came, and what is surprising about it is: These words sometimes appear on the tongue of Joseph, peace be upon him.
I have mentioned some of the requirements related to Surat Yusuf - peace be upon him - and then the intended study of the research is the words and titles in Surat Yusuf, which are: the word "prostration", the word "Lord", the title "Master", the title "Al-Mighty", and the word "wine". ", the title "king", the word "religion", and the manifestations of justice in this period.
I presented to talk about the words and titles that the Noble Qur'an was keen to mention, and not to mention anything that replaces them. Through study and research, the beauty of the Noble Qur'an became clear to us in its extreme keenness to mention the people's words, and then it came to talking about the manifestations of justice that indicate the existence of a rule in which justice prevails, the system and legislation that Organizes people's lives.

Keywords: Prostration, The Lord, The Mighty, The Wine, The King.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، أحمده حمد الشاكرين، وأشكره شكر الحامدين، وأصلِّي وأسلِّم على خير خلقه ورسله أجمعين سيدنا محمدٍ صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد،،،

فإنَّ أحقَّ ما فنيت فيه الأعمار وجفَّت فيه الأقلام كتاب الله تعالى العزيز الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت:٤٢]، ولهذا كان للقرآن الكريم السبق في الاهتمام والعناية بتفسيره والوقوف على أسراره وهداياته، واستخراج لآلئه ودرره.

وللوقوف على سرٍّ من أسرار هذا الكتاب البديع، فقد استوقفني حديث القرآن الكريم عن قصة يوسف عليه السلام، وعن حال أهل مصر في هذه الفترة التي عاشها يوسف عليه السلام منذ صغره، وعجبت كيف للقرآن أن يحافظ على ألقاب القوم في هذه السورة وأسماء الأشياء كذلك، الأمر الذي استدعى الوقوف على أسرار هذا الكتاب الكريم في ذكر ألفاظ أهل مصر في القرآن الكريم.

فجاءت هذ الدراسة تحت عنوان: "جَمَالُ القُرْآنِ فِي الإِبْقَاءِ عَلَى مَا كَانَ لِأَهْلِ مِصْرَ مِنَ الأَلْفَاظِ، مِنْ خِلَالِ سُورَةِ يُوسُفَ، دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ"، راجيًا من الله تعالى السداد والقبول، وأن يكون عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم.

وقد جاء الحديث عن هذا الموضوع الجليل في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس خاصٍّ بالمراجع، وآخر للموضوعات.

أما المقدمة: فالحديث فيها عن الدراسة وتقسيمها، ومنهج البحث فيها، والدراسات السابقة.

وأما المبحث الأول فجاء بعنوان: بين يدي السورة الكريمة.

ويشتمل على ستة مطالب، وهي:

المطلب الأول: أسماء السورة، وعدد آياتها.

المطلب الثاني: زمان نزول السورة.

المطلب الثالث: سبب نزول السورة.

المطلب الرابع: فضائل السورة.

المطلب الخامس: المناسبات المتعلقة بالسورة.

المطلب السادس: مقاصد السورة وأغراضها.

وأما المبحث الثاني: فبعنوان الألفاظ والألقاب في سورة يوسف، ويتكون من سبعة مطالب، وهي كالتالي:

المطلب الأول: لفظ "السجود".

المطلب الثاني: لفظ "الرَّبِّ".

المطلب الثالث: لقب "السيد".

المطلب الرابع: لقب "العزيز".

المطلب الخامس: لفظ "الخمر".

المطلب السادس: لقب "الملك".

المطلب السابع: لفظ "الدين".

وأما الخاتمة: فتشمل نتائج البحث.

وأما الفهارس فجاءت مقسمة حسب العلوم، ومرتبة ترتيبًا معجميًّا، ثم فهرس الموضوعات.

ومنهج الدراسة:

سلكت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي(١) الوصفي(٢)، وكان البحث على النحو التالي:

١- ترتيب ألفاظ الدراسة حسب ورودها أولًا بالسورة الكريمة.

٢- عزوُ الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣- تخريجُ الأحاديث النبوية والآثار من مظانها، والحكم عليها إذا كانت في غير الصحيحين أو أحدهما.

٤- ترجمةُ الأعلام الواردة ترجمة موجزة، عدا المشهورين كالأنبياء -عليهم السلام-، وكبار الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم-، وكبار الأئمة المعروفين لدى العامة والخاصة.

٥- الاكتفاءُ بذكر اسم المرجع، ورقم الجزء والصفحة في هوامش الصفحات، مكتفيًا في ذلك بذكر بيانات المرجع بالفهرس الخاص به في خاتمة البحث، خشية الإطالة والتَّكرار.

٦- توثيقُ النقول من مظانّها الأصيلة، والتعليق عليها عند الحاجة.

٧- ترتيبُ المراجع في الحواشي، حسب ترتيب وفاة المصنفين؛ وذلك لتأكيد نسبة المعلومة لقائلها.

الدراسات السابقة:

من خلال ما طالعت، وجدت بعض الأبحاث كتبت في سورة يوسف -عليه السلام-، ومنها:

---

(١) المنهج الاستقرائي: وهو منهج يقوم على التتبع لأمور جزئية مستعانا على ذلك بالملاحظة والتجربة وافتراض الفروض لاستنتاج أحكام عامة. ويسمى بالمنهج التجريبي؛ لأنه يستند في تحليلاته إلى الملاحظة والتجربة وافتراض الفروض. ينظر: طرق البحث العلمي، سعد عجيل مبارك الدراجي، وسعد إبراهيم الشويشين (ص٤٧).

(٢) المنهج الوصفي: وصف الظاهرة محل الدراسة وتشخيصها، وإلقاء الضوء على جوانبها المختلفة، وجمع البيانات اللازمة عنها، مع فهمها وتحليلها من أجل الوصول إلى المبادئ والقوانين المتصلة بمجالات الحياة المختلفة. ينظر: المصدر السابق (ص٥٠).

١- دراسة تحليلية لعصر النبي يوسف -عليه السلام- في مصر، د. إبراهيم محمد بيومي مهران، كلية الآداب -جامعة عين شمس-، حولية الاتحاد العام للآثاريين، ضمن دراسات في آثار الوطن العربي، العدد ١٢- المجلد ١٢، سنة ٢٠٠٩م، الصفحة: ١-٢٥، وهذه الدراسة تناولت الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

٢- سلسلة القصص القرآني- سورة يوسف -عليه السلام- دراسة تحليلية، د/ أحمد نوفل- كلية الشريعة- الجامعة الأردنية، دار الفرقان – عمان- الأردن، الطبعة الأولى: ١٩٨٩م-١٤٠٩هـ، وهذه الدراسة تناولت القصة دراسة تحليلية، فلم تُعن اهتمامًا بدراسة الألفاظ محل البحث المقصود هنا.

٣- دلالة الألفاظ التي انفردت بها سورة يوسف في ضوء وحدتها الموضوعية، د/ جهاد محمد فصل النصيرات، ود/ أحمد حسين إسماعيل حسين، المنارة لبحوث والدراسات، لمجلد١٢- العدد١، سنة:٢٠١٥م، جامعة آل البيت عمادة للبحث العلمي، وهذه تهتم بالألفاظ التي وردت مرة وحدة في القرآن الكريم من خلال سورة يوسف، كلفظة" عجاف".

وفي الختام: أشكر الله تعالى وأحمده على كرمه ومزيد فضله في إتمام هذا البحث الذي أسأل الله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن يغفر زلاتي يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: أَسْمَاءُ السُّورَةِ، وَعَدَدُ آيَاتِ السُّورَةِ.

أمّا اسم السورة:

١- سورة يوسف[(١)]: وهو الاسم الوحيد لهذه السورة، فعن ابن مسعود ﷺ، قال: كنت بحِمْصٍ فقرأت سورة يوسف، فقال رجل: ما هكذا أنزلت، قال: قرأت على رسول الله ﷺ، فقال: "أحسنت"، ووجد منه ريح الخمر، فقال: أتجمع أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر فضربه الحد[(٢)]. وذكر ابن حجر[(٣)] في كتاب "الإصابة" في ترجمته، أن أبا رافع بن مالك[(٤)] أول من قدم المدينة بسورة يوسف، يعني بعد أن بايع النبي ﷺ يوم العقبة[(٥)]،[(٦)]. ممَّا يدل على أنَّ اسم السورة توقيفيٌّ.

٢- السورة التي يذكر فيها يوسف ﷺ[(٧)].

وأما عن عدد آياتها:

فهي مائة وإحدى عشرة آية باتفاق أصحاب العدد في الأمصار، وليس فيها خلافٌ بين علماء العدد في أنها آياتها مائة وإحدى عشرة آية "١١١" [(٨)].

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد (٣٩٣/١)، وجامع البيان، للطبري (٥٤٦/١٥)، ومعالم التنزيل، للبغوي (٤٧٣/٢)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٢١٨/٣)، وتفسير القرن العظيم، لابن كثير (٣٦٥/٤).

(٢) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن (٥٥١/١) رقم "٨٠١".

(٣) هو: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد أبو الفضل العسقلاني القاهري الشافعي، المعروف بابن حجر، وهو لقب لبعض آبائه، الحافظ الكبير الإمام الشهير المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخّرة، من مؤلفاته: "فتح الساري لمقدمة فتح الباري" و"تهذيب التهذيب" و"الإصابة في تمييز الصحابة"، وتوفي سنة: ٨٥٢ هـ. ينظر: البدر الطالع (٨٧/١)، وترجمته لنفسه في كتابه رفع الإصر (٨٥/١).

(٤) هو: رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاريّ الزرقيّ شهد العقبة. وكان أحد النقباء، وكان أول من أسلم من الخزرج، وكان رفاعة من أهل بدر، وكان رافع بن أهل العقبة، وكان يقول لابنه: ما يسرني أني شهدت بدرا بالعقبة، وصحب عليا فشهد معه الجمل وصفين، وتوفي سنة: ٤١هـ. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٣٦٩/٢).

(٥) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٣٧٠/٢).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (١٩٧/١٢).

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري (٥٤٦/١٥) وتفسير ابن أبي حاتم (٢٠٩٨/٧).

(٨) ينظر: حسن المدد، للجعبري (ص ٣٤٧)، ومرشد الخلان، لعبد الفتاح القاضي (ص٨٨).

المطلب الثاني: زمان نزول السورة.

سورة يوسف مَكِّيَّةٌ نزلت بمكة: جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: نزلت سورة يوسف بمكة(١).

فهذه السورة مكية، ويروى أنَّ اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فنزلت السورة بسبب ذلك، ويروى أنَّ اليهود أمروا كفارَ مكةَ أن يسألوا رسول الله ﷺ عن السبب الذي أحلَّ بني إسرائيل بمصر فنزلت السورة، وقيل: سبب نزولها تسلية رسول الله ﷺ عما يفعله به قومه بما فعل إخوة يوسف بيوسف، وسورة يوسف لم يتكرر من معناها في القرآن شيء كما تكررت قصص الأنبياء، ففيها حُجَّةٌ على من اعترض بأنَّ الفصاحة تمكَّنت بترداد القول، وفي تلك القصص حجة على من قال في هذه: لو كررت لفترت فصاحتها(٢).

وحديث رفاعة بن رافع، الطويل يحكي فيه قدوم رافع مكَّة وإسلامه وتعليم رسول الله ﷺ. إياه هذه السورة، و﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق:١] (٣).

وعن ابن الزبير . رضي الله عنه . قال: أنزلت سورة يوسف بمكة(٤).

وهي مكِّيَّةٌ على القول الذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره. وقد قيل: إن الآيات الثلاث من أولها مدنية، وهو واهٍ لا يلتفت إليه، نزلت بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر (٥).

---

(١) ينظر: الدر المنثور، للسيوطي (٤/٤٩٤).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/٢١٨).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٤/١٦٥) رقم٧٢٤١ كتاب البر والصلة، وقال الذهبي في التلخيص "٧٢٤١"، وفيه: يحيى الشجري صاحب مناكير.

(٤) ينظر: الدر المنثور، للسيوطي (٤/٤٩٤).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/١٩٧).

المطلب الثالث: سبب نزول السورة.

روي أنَّ اليهود سألوا رسول الله-ﷺ-عن قصة يوسف فنزلت السورة[١]، وجاء عن سعد ابن أبي وقَّاص ﷺ: أُنْزِلَ القرآن على رسول الله ﷺ . فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: لو قصصت علينا، فنزل: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ [يوسف: ٣]، فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: لو حدثتنا، فأنزل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣][٢].

وجاء عن ابن عباس أنَّ حبرًا من اليهود دخل على رسول الله ﷺ . فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف فقال: يا محمد من علمكها؟ قال: الله علمنيها، فعجب الحبر لما سمع منه فرجع إلى اليهود فقال لهم: والله إنَّ محمدًا ليقرأ القرآن كما أنزل في التوراة فانطلق بنفرٍ منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة ونظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه فجعلوا يستمعون إلى قراءة سورة يوسف فتعجبوا وأسلموا عند ذلك[٣].

المطلب الرابع: فضائل السورة.

عن أُبَيّ بن كعب[٤]، قال: قال رسول الله ﷺ: "علّموا أرقّاءكم سورة يوسف فإنه أيّما مسلم تلاها وعلّمها أهله وما ملكت يمينه هوّن الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوّة أن لا يحسد مسلمًا"[٥].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٩٧/١٢).

(٢) ينظر: أسباب النزول، للواحدي (٢٦٩/١)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١٨/٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦٧/١٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢١٨/٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن الكريم (١١٨/٩).

(٤) هو: أُبَي بْن كعب بْن قيس بْن عبيد بْن زيد بْن معاوية بْن عمرو بْن مالك بْن النجار، وله كنيتان: أَبُو المنذر، وَأَبُو الطفيل، وشهد العقبة، وبدرًا، وكان عمر يقول: أُبَي سيد المسلمين. روى عنه عبادة بْن الصامت، وابن عباس، وابنه الطفيل بْن أُبَي رضي الله عنهم أجمعين. توفي سنة: ٣٠هـ في خلافة عثمان. ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير (١٦٨/١)، والإصابة، لابن حجر (٢٧/١).

(٥) الكشف والبيان، للثعلبي (١٩٦/٥)، وأورده الزيلعي في تخريج الكشاف (١٧٩/٢) من رواية الثعلبي في تفسيره، ورواه الواحدي في الوسيط (٥٩٩/٢) من طريق إبراهيم بن شريف عن أحمد بن يونس عن سلام بن سليم به.

المطلب الخامس: المناسبات المتعلقة بالسورة.

مناسبة السورة تأتي من جوانب عدةٍ؛ سواء مناسبة السورة للسورة التي قبلها من حيث مضمون السورة قبلها، ومناسبة السورة لما قبلها من حيث خاتمة ما قبلها، ومناسبة فاتحة السورة لخاتمتها، وكذلك مناسبة السورة لما بعدها، وأكتفي بهذه الجوانب من البيان للمناسبة؛ حيث إنَّ الحديث عنها قد يطول لتعدُّد أوجه المناسبة.

١- مناسبة السورة للسورة التي قبلها -سورة هود عليه السلام- من حيث مضمون السورة: وذلك لاشتمالها على شرح ما قاساه بعض الأنبياء عليهم السلام من الأقارب، وفي الأولى ذكر ما لقوا من الأجانب، ووقع هنا حال يعقوب مع أولاده وما صارت إليه عاقبة أمرهم مما هو أقوى شاهد على الرحمة، وقد جاء عن ابن عباس وجابر بن زيد أنَّ يونس نزلت ثم هود ثم يوسف وعدَّ هذا وجها آخر من وجوه المناسبة[١]،[٢]. فكان في سوق قصته عقب الإخبار بأن المراد بهذه القصص تثبيته ﷺ وتسلية فؤاده إشارة إلى البشارة بما وقع له . ﷺ .[٣].

٢- <u>وأما مناسبة الأول لخاتمة سورة هود:</u> فإنه تعالى لما أخبر في آخر تلك بتمام علمه وشمول قدرته، دلَّ على ذلك أهل السبق من الفصاحة والفوت في البلاغة في أول هذه بما فعل في كلامه من أنه تعالى يقدر على أن يأتي بما تذهب الأفهام والعقول – على كرِّ الأزمان وتعاقب الدهور وتوالي الأيام وتمادي الليالي[٤].

٣- <u>مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها:</u> أنه ذكر في أول السورة: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣]، ثم ذكر في آخرها: ﴿ لَقَدۡ

(١) ينظر: روح المعاني، للألوسي (٣٦٢/٦).

(٢) ينظر: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، للسيوطي (ص٩٤).

(٣) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢/١٠-٤).

(٤) ينظر: المصدر السابق نفس الصفحة.

﴿ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]، تنبيهًا على أن حسن هذه القصة إنما كان بسبب أنه يحصل منها العبرة ومعرفة الحكمة والقدرة(١).

٤- مناسبة السورة لما بعدها: لمَّا ختم التي قبلها بالدليل على حقِّيَّة القرآن وأنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون، بعد أن أشار إلى كثرة ما يحسونه من آياته في السماوات والأرض مع الإعراض، ابتدأ هذه بذلك على طريق اللف والنشر المشوش(٢)؛ لأنه أفصح للبداءة في نشره بالأقرب فالأقرب فقال:﴿تِلْكَ﴾ [يوسف:١](٣).

ووجه مناسبتها لما قبلها أنه ﷻ قال فيما تقدم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف:١٠٥]، فأجمل ﷻ الآيات السماوية والأرضية ثم فَصَّل جل شأنه ذلك هنا أتم تفصيل، وأيضًا أنه تعالى قد أتى هنا مما يدل على توحيده عز وجل ما يصلح شرحًا لما حكاه عن يوسف من قوله:﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩]، وأيضًا في كل من السورتين تسلية له ﷺ، هذا مع اشتراك آخر تلك السورة وأول هذه فيما فيه وصف القرآن كما لا يخفى(٤).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٥٢٢/١٨).

(٢) اللف والنشر: وهي أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاما مشتملا على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما على ما هو له وهو المرتب، كقوله عز وعلا: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ القصص:٧٣، وغير المرتب. مفتاح العلوم، للسكاكي (٤٢٥/١)، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، لعبد المتعال الصعيدي (٦٠٠/٤).

(٣) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٢٦١/١٠).

(٤) ينظر: السابق (٢٦٢/١٠، ٢٦٣).

المطلب السادس: مقاصد السورة وأغراضها.

أمَّا مقصود السّورة إجمالًا: عَرْض العجائب الَّتي تتضمّنها: من حديث يوسف ويعقوب، والوقائع الَّتي في هذه القصّة: من تعبير الرّؤْيا، وحَسَد الإِخْوة، وحِيلهم في التفريق بينه وبين أَبيه، وتفصيل الصّبر الجميل من جهة يعقوب، وبشارة مالك بن دعر بوجْدان يوسف، وبيْع الإِخوة أَخاهم بثمن بَخْس، وعَرْضه على البيع والشراءِ، بسُوق مصر، ورغبة زَلِيخَا وعزيز مصر في شراه، ونظر زَلِيخَا إلى يوسف، واحتراز يوسف منها، وحديث رؤية البرهان، وشهادة الشاهد، وتعيير النسوة زَليخا، وتحيّرهنّ في حسن يوسف، وجماله، وحبسه في السّجن، ودخول السّاقي والطَّبّاخ إليه، وسؤالهما إيّاه، ودعوته إيَّاهما إلى التَّوحيد، ونجاة السّاقي، وهلاك الطَّبّاخ، ووصيّة يوسف للسّاقي بأَن يذكره عند رَبّه، وحديث رؤيا مالك بن الرّيان، وعجز العابرين عن عبارته، وتذكُّر السّاقي يوسف، وتعبيره لرؤياه في السّجن، وطلب مالك يوسف، وإخراجه من السّجن، وتسليم مقاليد الخزائن إليه، ومَقْدَم إخوته لطلب المِيرة، وعهد يعقوب مع أَولاده، ووصيّتهم في كيفيّة الدّخول إلى مصر، وقاعدة تعريف يوسف نفسه لبنيامين، وقضائه حاجة الإِخوة، وتغييبه الصّاع في أَحمالهم، واستدعائهم منه توقيف غيره من الإِخوة مكانه، وردّه الإِخوة إلى أَبيهم، وشكوى يعقوب من جَوْر الهجْران، وأَلم الفراق، وإرسال يعقوب إيّاهم في طلب يوسف، وأَخيه، وتضرّع الإِخْوة بين يَدىْ يوسف، وإظهار يوسف لهم ما فعلوه معه من الإِساءَة وعفوه عنهم، وإرساله بقميصه صحبتهم إلى يعقوب، وتوجُّه يعقوب من كَنْعَان إلى مصر، وحوالة يوسف ذَنْب إخوته على مكايد الشيطان، وشكره لله تعالى على ما خوّله من الْمُلْك، ودعائه وسؤاله حسن الخاتمة، وجميل العاقبة، وطلب السّعادة، والشَّهادة، وتعيير الكفَّار على الإِعراض من الحجّة، والإِشارة إلى أَنّ قصة يوسف عِبْرة

للعالمين:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١] إلى آخر السّورة[1].

وأما أهم أغراضها:

١- بيان قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة.

٢- وفيها إثبات أن بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوءات وهو من أصول الحكمة المشرقية كما سيأتي عند قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا. ...﴾ [يوسف: ٤].

٣- وأن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده، وتحاسد القرابة بينهم. ولطف الله بمن يصطفيه من عباده، والعبرة بحسب العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة، وسكنى إسرائيل وبنيه بأرض مصر.

٤- وتسلية النبي ﷺ بما لقيه يعقوب ويوسف- عليهما السلام- من آلهم من الأذى، وقد لقي النبي ﷺ من آله أشدَّ ما لقيه من بُعداء كفَّارِ قومه، فإنَّ وقْعَ أذى الأقارب في النفوس أشدُّ من وقع أذى البعداء.

٥- وفيها العبرة بصبر الأنبياء مثل يعقوب ويوسف- عليهما السلام- على البلوى. وكيف تكون لهم العاقبة.

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي (١/٢٥-٢٥٧)، وروح المعاني، للألوسي (٧/٨٠).

٦- وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها، واسترقاق الصبي اللقيط، واسترقاق السارق، وأحوال المساجين، ومراقبة المكاييل.

٧- وإنَّ في هذه السورة أسلوبًا خاصًّا من أساليب إعجاز القرآن؛ وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصَّةُ أهل مكة يعجبون مما يتلقونه منه من بين أقاصيص العجم والروم، فكان ما في بعضها من التطويل على عادة أهل الأخبار من الفرس يموه به عليهم بأنه أشبع للسامع، فجاءت هذه السورة على أسلوب استيعاب القصة تحديًا لهم بالمعارضة[١].

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (١٢/١٩٨-٢٠٠).

المبحث الثاني: الألفاظ والألقاب في سورة يوسف.

تمهيد:

الحديث عن الفترة التي كان فيها يوسف -عليه السلام- في مصر، والدقَّة التي استخدمها القرآن الكريم للتعبير عنها، يستدعي كثيرًا من النظر والتأمِّل، ومزيدًا من البحث والتدبُّر، حيث إنَّ القرآن الكريم افتتح سورة يوسف -عليه السلام- بوصف الكتاب بالمبين في قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾ [يوسف: ١]، فهو بيِّنٌ واضحٌ، من أبان بمعنى بان، أي: ظهر؛ فهو لازمٌ أي الظاهر أمره في كونه من عند الله تعالى، وفي إعجازه.

أو الواضح معانيه للعرب بحيث لا تشتبه عليهم حقائقه، ولا تلتبس عليهم دقائقه، وكأنَّه على المعنيين حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فارتفع واستتر.

أو بمعنى بيِّن بمعنى أظهر فهو متعدٍّ، والمفعول مقدَّرٌ، أي المظهر ما فيه هدىً ورشد، أو ما سألت عنه اليهود، أو ما أمرت أن تسأل عنه من السبب الذي أحلّ بني إسرائيل بمصر، أو الأحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت وأسرار النشأتين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص(١).

ولأنَّ ذكر وصف إبانته هنا أنسب؛ إذْ كانت القصة التي تضمنتها هذه السورة مفصَّلةً، مبيِّنةً لأهمّ ما جرى في مدة يوسف عليه السلام بمصر، فقصَّة يوسف -عليه السلام- لم تكن معروفةً للعرب قبل نزول القرآن إجمالًا ولا تفصيلًا، بخلاف قصص الأنبياء: هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب- عليهم السلام أجمعين-، إذ كانت معروفة لديهم إجمالًا، فلذلك كان القرآن مبينًا إيَّاها ومفصلًا، ونزولها قبل اختلاط النبي ﷺ باليهود في المدينة معجزة

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٤/٢٥٠)، وروح المعاني، للألوسي (٦/٣٦٣).

عظيمة من إعلام الله تعالى إياه بعلوم الأولين، وبذلك ساوى الصحابة علماء بني إسرائيل في علم تاريخ الأديان والأنبياء وذلك من أهم ما يعلمه المشرعون(١).

وليست هذه الألفاظ للمصريين فقط، وإنما الغرض من سوق الألفاظ والحديث عنها؛ هو حرص القرآن في الإبقاء عليها في سورة يوسف.

ووقوع الحصر لهذه الألفاظ؛ لأنه لم يحدث مع قوم غيرهم، أو في قصة من قصص السابقين، وهو ما يستدعي الدراسة والبحث.

ومن خلال التدبر في هذه السورة الكريمة نجد أنَّ القرآن الكريم تعامل مع هذه القصة بأسلوب الدقة الشديدة في استخدام الألفاظ، وكذلك الوقوف على المراحل التي مرَّ بها يوسف عليه السلام ابتداءً من قصِّه رؤياه على أبيه ونصح أبيه له، ثمَّ ما حدث معه من إخوته بالتدبير والكيد؛ بأن يتخلصوا من يوسف فيخلُصَ لهم وجه أبيهم، ثم أمْرُ السيارة الذين أخرجوه من الجبِّ، ثم فترة دخوله السجن، ودعوته لتوحيد الله تعالى وتفسير الرؤيا للفتَيان، ثم خروجه من السجن بعد تفسير رؤيا الملك، وظهور براءته، ثم انتقل الحال من بيت العزيز إلى جوار الملك، وجعله على خزائن الأرض، ثم يكون هو عزيز مصر، ثم العود للقاء إخوته في هيئة غير الهيئة وحالٍ غير الحال، ومجيئهم إليه منكسرين طالبين المعونة والميرة، ثم ظهور كرامته على أبيه بإرجاع بصره بسبب قميصه، وبعدها لقاءه بأبويه، ثم تحقيق الرؤيا التي رآها في صغره؛ فدخلوا مصر وخروا له سجدًا، ثم يأتي الانكسار وقت الانتصار، فقال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ...﴾ [يوسف:١٠٠]، و﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٢/٢٠٠، ٢٠١).

وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ...﴾ [يوسف: ١٠١]، وفي كلٍّ هذه الأحداث والأحوال تأتي الألفاظ المستخْدَمة في تلك الفترة الزمنية، والتي لم يستخدمها القرآن قطُّ في غير سورة يوسف إلا على وجه الذمِّ، كالسجود لغير الله، وإكبار غير المسلمين، كذكر عزيز مصر بوصفه دون اسمه، كما حدث مع ذكر القرآن الكريم لـ"هامان" باسمه دون وصفه، وذكر الملِكِ بوصف الملكية دون ذكر اسمه كفرعون موسى –عليه السلام–، وكذلك ذكر الخمر فهو مذموم منهي عنه؛ إلا ما كان في سورة يوسف، فلم يكن هناك حرجٌ في ذكر ما كان مشاعًا من الألفاظ والألقاب، وهو جمالٌ من القرآن الكريم في تقدير وإظهار هذه الحقبة الزمنية التي كان يسودها العدل حتى قبل دعوة يوسف –عليه السلام– لتوحيد الله تعالى، ثم جاءت دعوته للتوحيد، ومما يُتعجَّبُ منه؛ وهو مجيء هذه الألفاظ أحيانًا على لسان يوسف –عليه السلام–، وفي هذا الجزء أتعرَّض لتناول استعمال القرآن لألفاظ أهل مصر في ذلك الوقت، مع أنَّه قد يُعبر عنها بغيرها من الألفاظ، والله الموفق والمستعان.

المطلب الأول: ذكر لفظ السجود.

ورد لفظ السجود في القرآن الكريم لغير الله . ﷻ في أمر الله . تعالى . للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام وسوى ذلك لم ترد هذه الكلمة إلا ما جاء في سورة يوسف عليه السلام، في قَصِّه لرؤياه على أبيه، وما كان من أمر أبويه وإخوته لما دخلوا مصر بعد ذلك على يوسف تحقُّق رؤياه، فقال الله تعالى:

١- ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ ﴾ [يوسف: ٤-٥]

٢- ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ويجدر بي أن أمهِّد ببعض التعريفات:

أولًا: يوسف اسم عبراني، وقيل عربي وليس بصحيح، لأنَّه لو كان عربيًّا لانصرف لخلوّه عن سبب آخر سوى التعريف(١).

- والكواكب الأحد عشر كانت إخوته، والشمس والقمر أبويه، فعن قتادة، قوله: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ إخوته، أحد عشر كوكبًا" والشمس والقمر" يعني: أبويه(٢).

ثانيًا: السُّجُودُ أصله: التّطامن -الانحناء- والتّذلّل، وجعل ذلك عبارة عن التّذلّل لله وعبادته، وهو عامّ في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان:

١- سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحقّ الثواب، نحو قوله: ﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النجم: ٦٢]، أي: تذللوا له.

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤٤١/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٥٥٦/١٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢١٠١/٧)، رقم"١١٣٢٩".

٢- سجود تسخير، وهو للإنسان، والحيوانات، والنّبات، وعلى ذلك قوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥]، وقوله:﴿ ..يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٨]، فهذا سجود تسخير، وهو الدّلالة الصامتة الناطقة المنبّهة على كونها مخلوقة، وأنّها خلق فاعل حكيم، وقوله:﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النحل: ٤٩]، ينطوي على النّوعين من السّجود، التّسخير والاختيار، وقوله: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن: ٦]، فذلك على سبيل التّسخير، وخصّ السّجود في الشريعة بالرّكن المعروف من الصلاة، وما يجري مجرى ذلك من سجود القرآن، وسجود الشّكر، وقد يعبّر به عن الصلاة بقوله:﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ق: ٤٠]، أي: أدبار الصلاة، وسُجُود الضّحى، ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] قيل: أريد به الصلاة[١]،[٢].

وفي التعبير عن السجود بجمع المذكر السالم، دون غيره: "ساجدين" والكواكب والشمس والقمر إنما يخبر عنها بـ "فاعلة" و"فاعلات" لا بالواو

(١) ينظر: أخرجه عبد الرزق في تفسيره (٢/٣٦٠) رقم"١٨٤٨"

(٢) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني (١/٣٩٦، ٣٩٧) " سجد".

والنون، "لأنَّ الواو والنون" إنما هي علامة جمع أسماء ذكور بني آدم، أو الجن، أو الملائكة، وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأنَّ "السجود" من أفعال من يُجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون، أو الواو والنون، فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك، كما قيل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ﴾ [النمل: ١٨]، والكواكب الأحد عشر كانت إخوته، والشمس والقمر أبويه، فعن قتادة، قوله: ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا ﴾ إخوته، أحد عشر كوكبًا "وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ "، يعني بذلك: أبويه(١).

والظاهر أن هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة إذ لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع، وإنما أجريت الكواكب مجرى العقلاء في عود الضمير إليها؛ لأن السجود من شأن العقلاء، كقوله للأصنام:

﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨](٢).

وقوله: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ ﴾ البقرة: ٣٤، قيل: أمروا بأن يتّخذوه قبلة، وقيل: أمروا بالتّذلّل له، والقيام بمصالحه، ومصالح أولاده، فائتمروا إلّا إبليس، وقوله:﴿ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ [النساء:١٥٤]، أي: متذلّلين منقادين(٣).

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٥٥٦/١٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره ١١٣٢٩(٢١٠١/٧).

(٢) ينظر: غرائب القرآن، للنيسابوري (٦٦/٤).

(٣) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني (٣٩٦/١، ٣٩٧) " سجد".

والمراد بالسجود نفس السجود أو التواضع، وكلاهما محتمل، والأصل في الكلام حمله على حقيقته ولا مانع أن يرى في المنام أنَّ الشمس والقمر والكواكب سجدت له، وهذا على أنَّ ما في المنام ليس بالضرورة يتأتى كاملًا في اليقظة(١).

وقال قتادة(٢) في قوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض، وأنَّ السجود في أصل اللغة هو الانقياد والخضوع، ومنه قوله تعالى:﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦﴾ [الرحمن:٦] (٣).

ولا إشكال في ذلك من جهة أن الآمر بالسجود هو الله تعالى في قصة آدم عليه السلام؛ سواء كان السجود سجود تعظيم لآدم عليه السلام، أو كان السجود لله تعالى وآدم كان كالقبلة لهم.

وذلك الحال في قصة يوسف يختلف من حيث إنَّه سجودٌ تقَرَّر في أذهان المعاصرين سواء كان من قبَلِ أبيه يعقوب عليه السلام، أو كان حال أهل مصر حيث كانت عادتهم تلك، وما ذكره القرآن الكريم في نهاية لقاء يوسف بأبويه وإخوته، وخروا له سجدًا، وقال ابن فارس(٤): سجد إذا تطامن، وكل

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٤١٩/١٨).

(٢) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه. وقال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وتوفي سنة: ١١٨هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (١١٥/١)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٢٤٨)، وطبقات المفسرين، للداوودي (٤٧/٢).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٤٢٧/٢، ٤٢٨).

(٤) هو: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. توفي بالري، وإليها نسبته. من تصانيفه: مقاييس اللغة، والمجمل، و"جامع التأويل" في تفسير القرآن. توفى سنة: ٣٩٥. ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (١/ ١١٨، ١١٩)، وشذرات الذهب، لابن العماد (٤٨٠/٤).

ما سجد فقد ذل، والإسجاد: إدامة النظر[١].

وسجد إذا طأطأ رأسه، وفي هذه الآية فضيلة لآدم عليه السلام عظيمة حيث أسجد الله له ملائكته. وقيل: إن السجود كان لله ولم يكن لآدم، وإنما كانوا مستقبلين له عند السجود، ولا ملجئ لهذا فإن السجود للبشر قد يكون جائزا في بعض الشرائع بحسب ما تقتضيه المصالح، وقد دلت هذه الآية على أن السجود لآدم وكذلك الآية الأخرى أعني قوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فلا يستلزم تحريمه لغير الله في شريعة نبينا محمد ﷺ أن يكون كذلك في سائر الشرائع. ومعنى السجود هنا: هو وضع الجبهة على الأرض، وإليه ذهب الجمهور.

وقال قوم: هو مجرد التذلل والانقياد[٢].

قال المهائميّ[٣]: ولو صح كونها ناطقة فلا إشكال. قال: ولم أر من تعرَّض لهيئة السجود، ولعله تحريك جانبها الأعلى إلى الأسفل، مستديرة ظهرت أو مستطيلة، وكان ذلك السجود على نهج التكرمة، وكان ذاك جائزًا ثم نسخ حين اتخذوا من دو الله أربابًا، وليس المراد بالسجود الانحناء؛ لأنَّ الخرور تعفير الجباه[٤]، [٥].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس مادة "سجد" (١٣٣/٢).

(٢) ينظر: فتح القدير، للشوكاني (٧٨/١).

(٣) هو: علي بن أحمد بن علي المهائمي الهندي، المعروف بالمخدوم، العالم الفاضل المفسر، منها " تبصير الرحمن وتيسير المنان"، و"زوارف اللطائف في شرح عوارف المعارف"، وتوفي سنة: ٨٣٥هـ. أبجد العلوم، لمحمد صديق خان (٦٩٥/١)، ونزهة الخواطر، للطالبي (٢٦١/٣)، وطبقات المفسرين، للأدنه وي(٤٢٧/١).

(٤) ينظر: تبصير الرحمن، للمهائمي (١٥٤/٢).

(٥) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي (١٤٧/٦).

وكان من عادات الناس في تحية التعظيم في بلاد فلسطين ومصر وغيرهما واستُعمِلَ في القرآن بمعنى الانقياد لله تعالى وتسخيره، وهذا سجود طبيعي غير إرادي، ولا يكون السجود عبادة إلا بالقصد والنية من الساجد للتقريب إلى من يعتقد أن له عليه سلطانا ذاتيا غيبيا فوق سلطان الأسباب المعهودة. وكان الأصل في التعبير عن سجود هذه الكواكب التي ليس لها إرادة أن يقول: رأيت كذا وكذا ساجدة لي، ولكنه أراد أن يخبر والده أنه رآها ساجدة سجودا، كأنه عن إرادة واختيار كسجود العقلاء المكلفين، فأعاد فعل "رأيت" وجعل مفعوله ضمير العقلاء وجمع صفة هذا السجود جمع المذكر السالم، فعلم أبوه أنَّ هذه رؤيا إلهام(١).

وحقيقة السجود: طأطأة الجسد أو إيقاعه على الأرض بقصد التعظيم لمشاهدٍ بالعيان؛ كالسجود للملك والسيد والسجود للكواكب، قال تعالى: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾، وقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، وقد عرف السجود منذ أقدم عصور التاريخ فقد وجد على الآثار الكلدانية منذ القرن التاسع عشر قبل المسيح صورة حمورابي ملك كلدية راكعًا أمام الشمس، ووجدت على الآثار المصرية صور أسرى الحرب سجَّدًا لفرعون، وهيئات السجود تختلف باختلاف العوائد، وهيئة سجود الصلاة مختلفة باختلاف الأديان(٢).

وبهذا، فَإِنَّ السجود لفظٌ أُطلق على هيئات مختلفةٍ للتعبير عن قدسية المسجود له أو تكريمه؛ ولكن حينما حكى القرآن الكريم قصة يوسف آثر إبقاء الكلمة "السجود"؛ ليؤكد على أنه لا ضير في ذكر ألفاظ القوم حتى وإن تعارضت مع شريعتنا.

(١) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٢١٠/١٢).

(٢) ينظر: التحرير التنوير، للطاهر ابن عاشور (٤٢١/١، ٤٢٢).

والسجود في صلاة الإسلام: الخرور على الأرض بالجبهة واليدين والرجلين، ولا يعكِّر عليه أن السجود في الإسلام لغير الله محرم[١]؛ لأنَّ هذا شرع جديد نسخ ما كان في الشرائع الأخرى، ولأن سجود الملائكة من عمل العالم الأعلى وليس ذلك بداخل تحت تكاليف أهل الأرض فلا طائل تحت إطالة البحث في أنَّ آدم مسجودٌ له أو هو قبلةٌ للساجدين كالكعبة للمسلمين[٢].

والموضع الثاني في سورة يوسف ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ ﴾ على ما ذكره المفسرون فقالوا: "تحمّل يعني يعقوب بأهله حتى قدموا على يوسف، فلما اجتمع إلى يعقوب بنوه، دخلوا على يوسف، فلما رأوه وقعوا له سجودًا، وكانت تلك تحية الملوك في ذلك الزمان أبوه وأمه وإخوته"[٣].

وعن قتادة: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ ﴾ وكانت تحية من قبلكم، كان بها يحيِّي بعضهم بعضًا، فأعطى الله هذه الأمة السلام، تحية أهل الجنة، كرامةً

---

(١) فعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَقُلْتُ: رَسُولُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ، قَالَ: "أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ؟" قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: "فَلَا تَفْعَلُوا، لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ"، أخرجه أبو داوود في سننه (٢٤٤/٢) رقم"٢١٤٠" كِتَاب النِّكَاحِ، بَابٌ فِي حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ، وهو حديث صحيح، وكذلك ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟" قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ"، رواه ابن ماجة في سننه (٥٩٥/١)، "١٨٥٣" كِتَاب النِّكَاحِ، بَابٌ فِي حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ. وهو حديثٌ صحيحٌ لغيره "شعيب الأرنؤوط".

(٢) ينظر: التحرير التنوير، للطاهر ابن عاشور (٤٢٢/١).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٦٩/١٦) رقم"١٩٩٠٠" عن ابن إسحاق.

من الله تبارك وتعالى عجّلها لهم، ونعمةً منه[١].

وإنما عنى مَنْ ذَكَرَ بقوله: "إنَّ السجود كان تحية بينهم"، أن ذلك كان منهم على الخُلُق، لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض، ومما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديمًا قبل الإسلام على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض، قول الأعشى[٢]:

فَلَمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الكَرَى ... سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا عَمَارَا[٣]،[٤]

وكان تحية الناس يومئذ لملوكهم السجود، ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض، وإنما هو الانحناء والتواضع، وقيل: وضعوا الجباه على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم، لا على طريق العبادة، وكان ذلك جائزا في الأمم السالفة فنسخ في هذه الشريعة[٥].

فإن قلت: كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله؟ قلت: كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة، كالقيام، والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس، من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير، وقيل: ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه، وخرورهم سجَّدًا يأباه، وقيل: معناه وخرّوا لأجل يوسف سجداً لله شكراً، وهذا أيضًا فيه نبوة[٦].

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٦٩/١٦) "١٩٩٠١".

(٢) هو: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه، جمع بعض شعره في ديوان سمي "الصبح المنير في شعر أبي بصير"، وتوفي سنة ٧هـ. ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة (٧٩/١)، ومعجم الشعراء، للمزرباني (٤٠١/١).

(٣) ينظر: ديوان الأعشى (ص٨٣).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٧٠/١٦).

(٥) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٥١٥/٢).

(٦) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٥٠٦/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٦/ ٣٢٧).

وظاهر قوله: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ ﴾ أنه السجود المعهود، وأنَّ الضمير في له عائد على يوسف لمطابقة الرؤيا في قوله: "إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ... الآية، وكان السجود إذ ذاك جائزًا من باب التكريم بالمصافحة، وتقبيل اليد، والقيام مما شهر بين الناس في باب التعظيم والتوقير.

وقال قتادة: كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة. وقيل: هذا السجود كان إيماء بالرأس فقط. وقيل: كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض، ولفظة وخروا تأبى هذين التفسيرين.

وقيل: إنَّ الضمير في ﴿ لَهُۥ ﴾ عائدٌ على الله أي: خروا لله سجدا شكرا على ما أوزعهم من هذه النعمة، وقد تأول قوله: رأيتهم لي ساجدين، على أنَّ معناه رأيتهم لأجلي ساجدين، وإذا كان الضمير ليوسف فقال المفسرون: كان السجود تحية لا عبادة.

وقال أبو عبد الله الداراني[1]: ولا يكون السجود إلا لله لا ليوسف، ويبعد من عقله ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته من صون أولاده، والشيخوخة، والعلم، والدين، وكمال النبوة، وقيل: الضمير وإن عاد على يوسف فالسجود كان لله تعالى، وجعلوا يوسف قبلة كما تقول: صليت للكعبة.

وقيل: السجود هنا التواضع، والخرور بمعنى المرور لا السقوط على الأرض لقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا

(١) هو: سليمان بن حبيب المحاربي الدارانيّ، أبو بكر: قاض، من ثقات التابعين. من أهل الشام. كان ينعت بقاضي الخلفاء. استمر في قضاء دمشق ثلاثين عاما. نسبته إلى (داريا) من غوطة دمشق، وتوفي سنة: ١٢٠هـ. ينظر: تهذيب التهذيب (١٧٧/٤).

وَعُمْيَانًا ﴾[الفرقان: ٧٣] أي: لم يمروا عليها(١).

و(سُجَّدًا) تحية له فإنه كان السجودُ عندهم جاريًا مجرى التحية والتكرمة كالقيامة والمصافحةِ وتقبيلِ اليد ونحوِها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير، وقيل: ما كان ذلك إلا انحناءً دون تعفيرِ الجباه ويأباه الخرُورُ وقيل خروا لأجله سجدًا لله شكرًا، ويرده قوله تعالى: "وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ " التي رأيتها وقصصتها عليك(٢).

وكان السجود تحية الملوك وأضرابهم، ولم يكن يومئذ ممنوعا في الشرائع وإنما منعه الإسلام لغير الله تحقيقا لمعنى مساواة الناس في العبودية والمخلوقية، ولذلك فلا يُعدُّ قبوله السجود من أبيه عقوقًا؛ لأنه لا غضاضة عليهما منه إذ هو عادتهم، والأحسن أن تكون جملة وخروا حالية؛ لأن التحية كانت قبل أن يرفع أبويه على العرش، على أن الواو لا تفيد ترتيبًا. و"سجَّدًا" حال مبينة لأن الخرور يقع بكيفيات كثيرة(٣).

- ومع كلام المفسرين هذا، إلا أن الأمر لا يتعلق في حديثي عن كيفية السجود، ولكن في التعبير عن ما حدث بالسجود، سواء كان سجودًا حقيقيًا على وجه التعظيم، أم كان انحناءً وإيماءً فقط، مع اتفاق الجميع أنه سجود تحية وتكريم وإكبار، وليس سجود عبادة، وعبَّر عنه القرآن بالسجود، أم كان سجودًا تجاه يوسف عليه السلام فكان قبلة لهم.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٥١١/١٨)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٣٢٧/٦).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣٠٧/٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٥٦/١٣).

- ومن خلال ما ورد في الآيات من ترجيح كون السجود وقع حقيقة، وهو إلصاق الجبهة في الأرض، ورود الألفاظ الآتية " رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ – وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا"
- فقوله: " لي" يؤكد على خصوصية السجود له، ولفظ الخرور يضيف صفة الهوي إلى الأرض بشدة، كما قال تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨] إضافة إلى قوله "له" الذي يؤكد" لي" في الآية الأولى، ثم يزيده تأكيدًا بقوله: ﴿سُجَّدًا﴾، كل ذلك يعطي قوة لحقيقة السجود المعهود.
- من ناحية أخرى وهي وقوع السجود نفسه في الشرائع السابقة، وهل كان متوافقًا مع عادات أهل مصر في ذلك الوقت؟، فقد قصَّ يوسف عليه السلام رؤياه وفيها ذكر السجود –وهو رسول– فلم ينكر أبوه ذلك – وهو أيضًا رسول–؛ بل تعجب من حاله المباركة فقط، وحذره من قصِّ رؤياه على إخوته، فلو كان السجود ممنوعًا لقال له أبوه هذه أضغاث أحلام خصوصًا مع صغر سنِّ يوسف عليه السلام.
- وقد يقول قائل عالم الرؤى يختلف عن عالم الحقيقة؟ قلت: ما جاء في آية اللقاء في مصر في قوله تعالى: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ تؤكد على أنَّ رؤياه كانت حقيقة إلا ما جاء في التعبير عن أبويه وعن إخوته بالشمس والقمر والكواكب.
- الرؤيا وقعت في زمانٍ وفي مكانٍ، وتأويل الرؤيا وقع في زمان ومكان آخر، ولم يتنافى هذا مع عادات المصريين ولا مع شريعة يعقوب عليه السلام. كأنَّ ما حدث من السجود في الرؤيا تأويله ووقوعه في مكان يرون في السجود زيادة إجلال وتعظيم للمسجود له.

- وقد يكون التعبير بقوله "له" حتى لا يُفهم أنَّ سجودهم كان لملك مصر لا ليوسف، وعيَّن المسجود له سواء كان لله وهو قبلة لهم أو انحناءً أو سجود تعظيم وإجلال.
- الأمر الهام أنَّ القرآن الكريم ذكر لفظة السجود، ولم يعبِّر عن ما وقع غير السجود أيًّا كان ما وقع، وكان من الممكن التعبير عنه بألفاظٍ كـ" خاضعين- راكعين- خاشعين- معظِّمين" إلى آخر هذه الألفاظ التي تفيد الإجلال والتعظيم، ولكن إيثاره في التعبير عن السجود بلفظه حقيقةً أو عن غيره بالسجود يدلُّ على جمال القرآن في ذكر ألفاظ القوم في ذلك الوقت وتقدير القرآن وإكبار هذه الحقبة الزمنية العادلة والمباركة في ذلك الوقت.

المطلب الثاني: لفظ "الرَّبِّ".

الناظر لأول وهلةٍ قد يظنُّ أنَّني أستنكر وقوع هذا اللفظ، وعدم صحة مجيئه، ولكنَّ الأمر هنا ليس كما يُظنُّ؛ حيث إنَّ الحديث هنا عن السِّرِّ في مجيء هذا اللفظ -"الرّبّ"-، وورد هذا اللفظ على لسان يوسف -عليه السلام-؛ بل من الحقِّ تبارك وتعالى على حسب ما سأذكره، وهنا في سورة يوسف يقول الله تعالى:

١- ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف: ٢٣].

٢- ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ

فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يوسف: ٤١-٤٢].

٣- ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يوسف:٥٠].

فالرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدِّ التمام، يقال رَبَّهُ، وربّاه ورَبَّبَهُ، فالرّبّ مصدر مستعارٌ للفاعل، ولا يقال الرّبّ مطلقا إلا لله تعالى المتكفّل بمصلحة الموجودات، نحو قوله: ﴿ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [سبأ:١٥] (١).

ولم يطلقوا الرب إلا في اللَّه وحده، وهو في غيره على التقيد بالإضافة، كقولهم: رب الدار، وربُّ الناقة، وقوله تعالى: (ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ)، (إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ) (٢).

ولم يرد ذكر غيره تعالى إلا مقيّدًا كربِّ الدار وربِّ الدابة، ومنه قوله تعالى: (فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ)، وقوله تعالى: (ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ)، وما في الصحيحين من أنه ﷺ قال: "لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي(٣)"، فقد قيل: إنَّ النهيَ فيه للتنزيه، وأمَّا الأرباب فحيث لم

(١) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني (٣٣٦/١)" الرب".

(٢) ينظر: الكشاف، للزمخشري (١٠/١).

(٣) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة؛ فالبخاري كتاب: العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق (١٥٠/٣) رقم" ٢٥٥٢"، ومسلم في كتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: حكم إطلاق لفظ العبد والأمة. (١٧٦٤/٤)، رقم "٢٢٤٩".

يكن إطلاقُه على الله ﷻ جاز في إطلاقه الإطلاق والتقييد كما في قوله تعالى: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ ....﴾ [يوسف: ٣٩] الآية[١].

وللعلماء في معنى الربِّ في هذه الآيات، أقوالٌ؛ منها:

أولاها: أنَّ معنى الربِّ في قوله تعالى: "إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ" أي: إنَّ صاحبك وزوجك سيدي يعني: يريد يوسف سيدَه زوج المرأة، يقول: أحسن منزلتي، وأكرمني وائتمنني، فلا أخونه[٢].

وقال بعض المفسرين: "إنه ربِّي" يريد أن زوجك قِطْفِيرَ سيدي أحسن مثواي، أي: أكرم منزلي هذا قول أكثر المفسرين، وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد أنَّ الله تعالى ربِّي أحسن مثواي، أي آواني ومن بلاء الجبِّ عافاني، إنَّه لا يفلح الظالمون، يعني: إن فعلت هذا فخنته في أهله بعد ما أكرم مثواي فأنا ظالمٌ، ولا يفلح الظالمون، وقيل: لا يفلح الظالمون أي: لا يسعد الزناة، وقيل: أراد الله تعالى، لأنه مسبب الأسباب[٣].

وقيل: يحتمل أن يعود الضمير في "إِنَّهُ" على الله عز وجل، ويحتمل أن يريد العزيز سيده، أي فلا يصلح لي أن أخونه وقد أكرم مثواي وائتمنني، ويحتمل: رَبِّي معناه سيدي، وإذا حفظ الآدمي لإحسانه فهو عمل زاك، وأحرى أن يحفظ ربه.

ويحتمل أن يكون الضمير للأمر والشأن، ثم يبتدئ: رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ.

والضمير في قوله: إِنَّهُ لا يُفْلِحُ مرادٌ به الأمر والشأن فقط، وحكى

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (١٣/١).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن السدي ومجاهد "١٩٠٠٣"،"١٩٠١١" (٣٢/٦، ٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره "١١٤٦٩" (٢١٢٢/٧).

(٣) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤٨٣/٢، ٤٨٤)، وزاد المسير، لابن الجوزي (٤٢٦/٢، ٤٢٧)، والكشاف، للزمخشري (٤٥٥/٢)، ومدارك التنزيل، للنسفي (١٠٣/٢).

بعض المفسرين: أن يوسف عليه الصلاة والسلام- لما قال: معاذ الله ثم دافع الأمر باحتجاج وملاينة، امتحنه الله تعالى بالهم بما هم به، ولو قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ودافع بعنف وتغيير- لم يهم بشيء من المكروه(١).

والضمير في قوله: "إنه" للشأن والحديث ربي أحسن مثواي أي ربي وسيدي ومالكي أحسن مثواي حين قال لك: أكرمي مثواه، فلا يليق بالعقل أن أجازيه على ذلك الإحسان بهذه الخيانة القبيحة إنه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الإحسان بالإساءة، وقيل: أراد الزناة؛ لأنهم ظالمون أنفسهم أو لأن عملهم يقتضي وضع الشيء في غير موضعه، وهاهنا سؤال: إنّ يوسف عليه السلام كان حرًّا وما كان عبدًا لأحدٍ، فقوله: "إِنَّهُۥ رَبِّىٓ" يكون كذبًا وذلك ذنب وكبيرة.

والجواب: أنه عليه السلام أجرى هذا الكلام بحسب الظاهر وعلى وفق ما كانوا يعتقدون فيه من كونه عبدا له وأيضا أنه رباه وأنعم عليه بالوجوه الكثيرة فعنى بكونه ربًّا له كونه مربيًّا له، وهذا من باب المعاريض الحسنة، فإن أهل الظاهر يحملونه على كونه ربًّا له وهو كان يعني به أنه كان مربِّيًا له ومنعمًا عليه(٢).

والضمير في "إِنَّهُۥ" الأصح أنه يعود على الله تعالى أي: إن الله ربي أحسن مثواي؛ إذ نجاني من الجب، وأقامني في أحسن مقام. وإما أن يكون ضمير الشأن وغني بربه سيده العزيز فلا يصلح لي أن أخونه، وقد أكرم مثواي وائتمنني قاله: مجاهد، والسدي، وابن إسحاق. ويبعد جدًا، إذ لا يطلق نبي كريم على مخلوق أنه ربه، ولا بمعنى السيد؛ لأنه لم يكن في الحقيقة مملوكا له(٣).

(١) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٣٣/٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٤٣٨/١٨)، واللباب، لابن عادل (٨٥/١١).

(٣) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٢٥٧/٦).

(قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ) أي أعوذ بالله مَعاذًا مما تدعينني إليه وهذا اجتنابٌ منه على أتم الوجوه وإشارةٌ إلى التعليل بأنه منكَرٌ هائلٌ يجب أن يُعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك إلا لأنه ﷺ قد شاهده بما أراه الله تعالى من البرهان النيّر على ما هو عليه في حد ذاتِه من غاية القُبح ونهايةِ السوء، وقولُه عزَّ وجلَّ: (إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ) تعليلًا للامتناع ببعض الأسباب الخارجيةِ ممَّا عسى أن يكون مؤثرًا عندها وداعيًا لها إلى اعتباره بعد التنبيهِ على سببه الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سوّلتْه لها نفسُها، والضميرُ للشأن ومدارُ وضعه موضعَه ادِّعاءُ شهرتِه المُغْنية عن ذكره، وفائدةُ تصديرِ الجملة به الإيذان بفَخامة مضمونِها مع ما فيه من زيادة تقريرِه في الذهن؛ فإنَّ الضميرَ لا يُفهمُ منه من أولِ الأمرِ إلا شأنٌ مبهمٌ لهُ خطرٌ فيبقى الذهنُ مترقِّباً لما يعقُبه فيتمكنُ عندَ وروده لَهُ فضلُ تمكُّنٍ؛ فكأنه قيل: إنَّ الشأنَ الخطيرَ هذا وهو ربي أي سيدي العزيزُ أحسنَ مثواي أي أحسن تعهّدي حيث أمرك بإكرامي فكيف يمكن أن أُسيء إليه بالخيانة في حَرَمه، وفيه إرشادٌ لها إلى رعاية حقِّ العزيزِ بألطف وجهٍ[1].

وقيل: الضميرُ لله عزَّ وجلَّ، و"ربي" خبرُ إنَّ، و"أحسن مثواي" خبرٌ ثانٍ، أو هو الخبرُ والأولُ بدلٌ من الضمير، والمعنى: أنَّ الحالَ هكذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشةِ الكبيرةِ؟ وفيه تحذيرٌ لها من عقاب الله عز وجل، وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالةِ من غير تعرّضٍ لاقتضائها الامتناعَ عما دعته إليه إيذانٌ بأن هذه المرتبةَ من البيان كافيةٌ في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع أصلًا[2].

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٤/٢٦٥).

(٢) ينظر: السابق (٤/٢٦٥).

وعلَّل هذه الاستعاذة بقوله: (إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ) أي إنه – تعالى– ولي أمري كله، أحسن مقامي عندكم وسخركم لي بما وفقني له من الأمانة والصيانة، فهو يعيذني ويعصمني من عصيانه وخيانتكم، ويحتمل أنه أراد بربه مالكه العزيز في الصورة وإن كان حرًّا مظلومًا في الحقيقة، كما يقال: رب الدار، وكان من عرفهم إطلاقه على الملوك والعظماء كما في قوله –عليه السلام– لساقي الملك في السجن (ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ)، ولكن الله عاقبه أنه لم يذكر حينئذٍ ربه، فكان نسيانه له سببًا لطول مكثه في السجن، ثم إنه قال لرسول الملك، إذ جاءه يطلبه لأجله:﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾[1].

وعلى هذا القول – وقد جرى عليه الجمهور– يكون الضمير في "إنه" ما يسمونه ضمير الشأن والقصة، أي: إن الشأن الذي أنا فيه هو أن سيدي المالك لرقبتي قد أحسن معاملتي في إقامتي عندكم وأوصاك بإكرام مثواي، فلن أجزيه على إحسانه بشر الإساءة وهو خيانته في أهله، وهذا التفسير تعليل لردِّ مراودتها بعد الاستعاذة بالله منها، لا تعليلٌ للاستعاذة نفسها كالأول، والفرق بينهما دقيق لما بينهما من العموم في الأول والخصوص في الثاني، ثم علل امتناعه بما هو خاصٌّ بنزاهة نفسه، فقال: إنه لا يفلح الظالمون لأنفسهم وللناس كالخيانة لهم والتعدي على أعراضهم وشرفهم، وفي جملة الجواب من الاعتصام والاعتزاز بالإيمان بالله، والأمانة للسيد صاحب الدار، والتعريض بخيانة امرأته له المتضمن لاحتقارها، ما أضرم في صدرها نار الغيظ والانتقام، مضاعفةٌ لنار الغرام، وهو ما بينه –تعالى–

(١) ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١٢/٢٢–٨، ٢٢٩).

بقوله مؤكدًا بالقسم؛ لأنَّه مما ينكره الأخيار من شرور الفجار[1].

وقد أجاد صاحب "التحرير والتنوير"؛ إذ قال: وضمير "إنه" يجوز أن يعود إلى اسم الجلالة، ويكون ربِّي بمعنى خالقي، ويجوز أن يعود إلى معلوم من المقام وهو زوجها الذي لا يرضى بأن يمسها غيره، فهو معلوم بدلالة العرف، ويكون ربي بمعنى سيدي ومالكي.

وهذا من الكلام الموجه توجيها بليغًا حكي به كلام يوسف -عليه السلام- إمَّا لأنَّ يوسف- عليه السلام- أتى بمثل هذا التركيب في لغة القبط، وإمَّا لأنه أتى بتركيبين عذرين لامتناعه فحكاهما القرآن بطريقة الإيجاز والتوجيه، وأيًّا ما كان فالكلام تعليلٌ لامتناعه وتعريضٌ بها في خيانة عهدها.

وفي هذا الكلام عبرةٌ عظيمةٌ من العفاف والتقوى وعصمة الأنبياء قبل النبوءة من الكبائر.

وذكر وصف الرب على الاحتمالين لما يؤذن به من وجوب طاعته وشكره على نعمة الإيجاد بالنسبة إلى الله، ونعمة التربية بالنسبة لمولاه العزيز. وأكد ذلك بوصفه بجملة "أحسن مثواي"، أي جعل آخرتي حسنى، إذ أنقذني من الهلاك، أو أكرم كفالتي.

وجملة: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ تعليل ثان للامتناع، والضمير المجعول اسمًا لـ (إنَّ) ضمير الشأن يفيد أهمية الجملة المجعولة خبرًا عنه؛ لأنَّها موعظةٌ جامعةٌ، وأشار إلى أن إجابتها لما راودته ظلمٌ؛ لأنَّ فيها ظلم كليهما؛ نفسه بارتكاب معصية مما اتفقت الأديان على أنها كبيرة، وظلم سيده الذي آمنه على بيته وآمنها على نفسها إذ اتخذها زوجًا وأحصنها[2].

(١) ينظر: المصدر السابق (١٢/ ٢٢٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٢٥١/١٢).

وقد استدلَّ الماتريدي[١] على أنَّ المراد بالربِّ هنا الله عزَّ وجلَّ، بقوله "وألفيا سيدها لدى الباب" أي: وجدا سيدها؛ وهذا يدلُّ على أنَّ قوله: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾ لم يرد به العزيز الذي اشتراه، ولكن العزيز الذي خلقه؛ لأنه قال: (سَيِّدَهَا)، ولم يقل: سيدهما[٢].

فهو وإن ذهب إلى أنَّ المراد بالربِّ هنا الله جل جلاله، إلا أنه استدلالٌ ضعيفٌ؛ لورود ذكر الرب على لسان يوسف في قصة صاحبي السجن.

أمَّا في قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [يوسف: ٤١-٤٢]

فقوله: "فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا" فيسقي ربَّه؛ يعني سيده، وهو ملكهم[٣].

وقوله: "ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ " يعني الملك، اذكرني عند ربك، يعني: سيدك الملك[٤].

وأمَّا قوله: "فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ" أي: قل له إنَّ في السجن غلامًا محبوسًا ظلمًا طال حبسه، فأنساه الشيطان ذكر ربه، قيل:

---

(١) هو: أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي الحنفي، من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ماترید، من كتبه: التوحيد، وأوهام المعتزلة، وتأويلات القرآن، وتوفي: سنة ٣٣٣ هـ. ينظر: الجواهر المضيئة، لعبد القادر القرشي (١٣٠/٢)، والفوائد البهية، للكفوي (ص١٩٥).

(٢) ينظر: تفسير تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٢٢٧/٦).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٠٧/١٦).

(٤) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤٩٣/٢).

أنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف للملك تقديره: فأنساه الشيطان ذكره لربه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وعليه الأكثرون: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان، فلبث: فمكث، في السجن بضع سنين(١).

وكان محمد بن إسحاق(٢) يقول: إنما أنسى الشيطانُ الساقي ذكر أمر يوسف لملكهم(٣).

وقال الزجاج(٤): أنسى يُوسُفَ الشيطانُ أن يَذْكُرَ اللَّهَ(٥).

والسبب في ذلك عود الضمير في: "رَبِّهِ" فهاء الكناية في فأنساه إلى من تعود قولان:

أحدهما: إنها ترجع إلى الساقي، وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملك؛ قالوا: لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساقي حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها إلى يوسف.

والقول الثاني: وهو قول أكثر المفسرين أنَّ هاء الكناية ترجع إلى يوسف، والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من

---

(١) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤٩٣/٢).

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب، ومن مؤلفاته "السيرة النبويّة" هذبها ابن هشام، و"كتاب الخلفاء"، و"كتاب المبدأ". وكان من حفاظ الحديث، ومات سنة:١٥١هـ. ينظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (٣٨/٩)، وتذكرة الحفاظ، للذهبي (١٦٣/١).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (١١٣/١٦).

(٤) هو: إبراهيم بن السرىّ بن سهل أبو إسحاق الزّجّاج النحوىّ، والزجاج لأنه كان يخرط الزجاج، صاحب معاني القرآن، وكَانَ من أهل الْفضل وَالدّين، حسن الِاعْتِقَاد، جميل الْمَذْهَب، وله مؤلّفات حسان في الأدب. ومات سنة ٣١١ هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (٩/١)، وبغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٤١١، ٤١٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن، للزجاج (١١٢/٣).

غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام، فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين(١).

وقوله: (فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ) وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن غفلة عَرَضت ليوسف من قبل الشيطان، نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زلَّ بها فأطال من أجلها في السجن حبسُه، وأوجع لها عقوبته(٢).

(فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ) فأنسى الشرابي –الساقي– (ذِكۡرَ رَبِّهِۦ) أن يذكره لربه. وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره بِضْعَ سِنِينَ(٣).

والضمير في أنساه قيل: هو عائد على يوسف عليه السلام، أي نسي في ذلك الوقت أن يشتكي إلى الله، وجنح إلى الاعتصام بمخلوق، فروي أن جبريل عليه السلام جاءه فعاتبه عن الله عز وجل في ذلك، وطول سجنه عقوبة على ذلك، وقيل: إن الضمير في أنساه عائد على الساقي– قاله ابن إسحاق– أي: نسي ذكر يوسف عند ربه، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده، و "الرَّبُّ" – على هذا التأويل– الملك(٤).

يقول: اذكرني عند الملك أي: بعلمي ومكانتي وما أنا عليه مما آتاني

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٥٣٠/٢).
(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (١١١/١٦).
(٣) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤٧٢/٢).
(٤) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٤٧/٣).

الله، أو اذكرني بمظلمتي وما امتحنت به بغير حق. وهذا من يوسف على سبيل الاستعانة والتعاون في تفريج كربه، وجعله بإذن الله وتقديره سببا للخلاص كما جاء عن عيسى: ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤]، وكما كان الرسول يطلب من يحرسه، والذي أختاره أن يوسف إنما قال لساقي الملك: اذكرني عند ربك ليتوصل إلى هدايته وإيمانه بالله، كما توصل إلى إيضاح الحق للساقي ورفيقه.

والضمير في فأنساه عائد على الساقي، ومعنى ذكر ربه: ذكر يوسف لربه، والإضافة تكون بأدنى ملابسة. وإنساء الشيطان له بما يوسوس إليه من اشتغاله حتى يذهل عما قال له يوسف، لما أراد الله بيوسف من إجزال أجره بطول مقامه في السجن. وبضع سنين مجمل، فقيل: سبع، وقيل: اثنا عشر. والظاهر أن قوله: فلبث في السجن، إخبار عن مدة مقامه في السجن، منذ سجن إلى أن أخرج. وقيل: هذا اللبث هو ما بعد خروج الفتيين وذلك سبع. وقيل: سنتان، وقيل: الضمير في أنساه عائد على يوسف. ورتبوا على ذلك أخبارًا لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام(١).

وقد ورد الإطلاق في الإسلام أيضا حين حكى عن يوسف عليه السلام قوله: "إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ" إذا كان الضمير راجعا إلى العزيز وكذا قوله: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ ﴾ [يوسف: ٣٩] فهذا إطلاق للرب مضافا وغير مضاف على غير الله تعالى في الإسلام؛ لأن اللفظ عربي أطلق في الإسلام، وليس يوسف أطلق هذا اللفظ بل أطلق مرادفه فلو لم يصح التعبير بهذا اللفظ عن المعنى الذي عبر به يوسف لكان في غيره من ألفاظ العربية معدل، إنما ورد في الحديث النهي عن أن يقول أحد لسيده ربي وليقل

(١) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٦/٢٧٩، ٢٨٠).

سيدي، وهو نهي كراهة للتأديب؛ ولذلك خص النهي بما إذا كان المضاف إليه ممن يعبد عرفا كأسماء الناس؛ لدفع تهمة الإشراك وقطع دابره وجوزوا أن يقول رب الدابة ورب الدار، وأما بالإطلاق فالكراهة أشد فلا يقل أحدٌ للملك ونحوه: هذا ربٌّ[1].

وهذا ما تناوله العلماء في الموضع الأول، ثمَّ ما جاء في الموضع الثاني من تفسير رؤيا الساقي، فقال تعالى: وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ"

فلم يكن هناك خلاف بين المفسرين في أنَّ المراد بالربِّ هنا هو: "الملك"، ثم ما جاء في الآية التي تليها في قوله تعالى: " وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ" فالظن هنا يعود إلى يوسف عليه السلام، ثمَّ المراد بالربِّ في قوله "عند ربك" عند صاحبك، وهو الملك، كذلك لم يقع فيها خلاف في المراد منها وهو الملك سيِّده، ولكن وقع الخلاف بين المفسرين في المراد به في قوله تعالى: (فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ....)".

فإما أن يعود الضمير إلى يوسف عليه السلام، وإما أن يعود إلى الساقي، وعليه يكون المعنى؛ فإن كان من يوسف فإنه نسي أن يلجأ إلى الله وطرق باب الملك، وإن عاد الضمير إلى الساقي يكون المراد بالرب هو الملك، ويصح أن يصد به الله جل جلاله، فيكون الساقي نسي ذكر الله ومن جملة ما نساه ذكر أمر يوسف عليه السلام للملك[2]، وقد رجح كثيرٌ من المفسرين أنَّ الضمير يعود إلى الساقي، بقرينة ورود التذكُّر بعد ذلك في قوله: ﴿ وَقَالَ

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (١٦٧/١، ١٦٨).

(٢) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤٩٥/٢)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٢٥٢/٣).

ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:٥٠] -أي سيدك الملك-[1].

وعلى كلٍّ فإن لفظ الرب لم يقع من كلام الله تعالى، وإنما وقع على لسان يوسف عليه السلام، ولم يرد في كلام الله تعالى إلا إذا ترجَّح في قوله: "فأنساه الشيطان ذكر ربه" فقط، ومع ذلك فاهتمام القرآن بذكر هذه الألفاظ أمرٌ عجيب؛ حيث إنَّ يوسف ذكر لفظ الرب بلغته هو أو بلغة القبط، وليس بلغة اللسان العربي، في حين أنَّ الله قصَّها بالعربية ولم يأت بلفظة غيرها.

المطلب الثالث: لفظ "السَّيِّد".

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف:٢٥].

ولفظ السيد:

سيّد القوم، ولا يقال: سيّد الثّوب، وسيّد الفرس، ويقال: سَادَ القومَ يَسُودُهُمْ، ولمّا كان من شرط المتولّي للجماعة أن يكون مهذّب النّفس قيل لكلّ من كان فاضلًا في نفسه: سَيِّدٌ. وعلى ذلك قوله:﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقوله:﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ﴾، فسمّي الزّوج سَيِّداً لسياسة زوجته، وقوله: ﴿ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾ [الأحزاب: ٦٧]، أي: وُلاتَنا

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (١٦٧/١، ١٦٨).

وسَائِسِينَا[١].

فالسيد: فيعل من ساد يسود، يطلق على المالك، وعلى رئيس القوم[٢].

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ وصادفا بعلها وهو قطفير، تقول المرأة لبعلها: سيدي. وقيل: إنما لم يقل سيدهما؛ لأنّ ملك يوسف لم يصح، فلم يكن سيدًا له على الحقيقة[٣].

و"السيد" الزوج[٤]، فيروى أنهما وجدا العزيز ورجلًا من قرابة زليخا عند الباب الذي استبقا إليه قاله السدي[٥].

وفي ذلك الوقت حضر زوجها، وهو المراد من قوله "وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ" أي: صادفا بعلها تقول المرأة لبعلها سيدي، وإنما لم يقل سيدهما؛ لأنَّ يوسف عليه السلام ما كان مملوكًا لذلك الرجل في الحقيقة[٦].

وذلك لأنَّ الزَّوج لمَّا ملك الانتفاع بالمرأة من الوطء والخلوةِ، والمباشرةِ، والسفر بها من غير اختيارها أشبهت المملوكة، فلذلك حسن إطلاقُ السيِّد عليه[٧].

"وَأَلْفَيَا" أي وجدا، "سَيِّدَهَا " أي زوجها، وهو فيعلٌ من ساد يسود، وشاع إطلاقه على المالك وعلى الرئيس، وكانت المرأة إذ ذاك على ما قيل: تقول لزوجها سيدي، ولذا لم يقل سيدهما، وفي البحر: وإنما لم

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني "السيد" (٤٣٢/١).
(٢) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٢٣٤/٦).
(٣) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤٥٨/٢).
(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري عن زيد بن ثابت ومجاهد "١٩٠٩٣، ١٩٠٩٤" (٥١/١٦).
(٥) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٣٥/٣).
(٦) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٤٤٥/١٨).
(٧) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (٧١/١١).

يضف إليهما؛ لأنه لم يكن مالكا ليوسف حقيقة لحريته لَدَى الْبابِ أي عند الباب البراني[١]، قيل: وجداه يريد أن يدخل مع ابن عم لها قالَتْ استئناف مبني على سؤال سائل يقول: فماذا كان حين ألفيا السيد عند الباب، فقيل، فقالت: ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا من الزنا ونحوه[٢].

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ أي وجدا زوجها عند الباب، وكان النساء في مصر يلقبن الزوج بالسيد واستمر هذا إلى زماننا، ولم يقل سيدهما؛ لأن استرقاق يوسف غير شرعي، وهذا كلام الله – عز وجل – لا كلام الرجل المسترق له، ولعله كان قد تبناه بالفعل[٣].

وصادف أن ألفيا سيدها، أي زوجها، وهو العزيز، عند الباب الخارجي يريد الدخول إلى البيت من الباب الخارجي. وإطلاق السيد على الزوج، قيل: إن القرآن حكى به عادة القبط حينئذ، كانوا يدعون الزوج سيدا. والظاهر أنه لم يكن ذلك مستعملا في عادة العرب، فالتعبير به هنا من دقائق التاريخ مثل قوله الآتي: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ [يوسف: ٧٦]. ولعلَّ الزواج في مصر في ذلك العهد كان بطريق المِلْكِ غالبًا.

وقد علم من الكلام أن يوسف– عليه السلام– فتح الأبواب التي غلقتها زليخا بابًا بابًا حتى بلغ الخارجي، كلُّ ذلك في حال استباقهما، وهو إيجازٌ[٤].

وعنى بالسيد الزوج؛ لأنَّ القبط يسمُّون الزوج سيِّدًا، وإنَّما لم يقل سيِّدَهما؛ لأنَّ ملكه ليوسف لم يكن صحيحًا؛ فلم يكن سيِّدًا له[٥].

---

(١) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٢٦٠/٦).

(٢) ينظر: روح المعاني، للألوسي (٤٠٩/٦).

(٣) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٢٣٦/١٢).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٢٥٦/١٢).

(٥) ينظر: فتح القدير، للشوكاني (٢٢/٣، ٢٣).

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ أي: وجدا العزيز عند الباب، وعني بالسيد الزوج، والقبط يسمون الزوج سيِّدًا(١)، والسيد هو الزوج بلسان القبط(٢).

ولم يقل: "سيدهما" لوجهين، أحدهما: أنه لو قال كذلك للزم منه استعمال اللفظ المشترك في مفهومه معا أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه؛ لأنه مجاز في الزوجة، فإن قلت: البادئ بالمسابقة إنما هو يوسف فلم قال استبقا وهي إنما خرجت تتبعه؟ فالجواب: أنه إشارة إلى أنها سبقته بالجري لترده وتعارضه وقد قميصه، قيل: كان طُولًا، وقيل: كان عرضا، والمناسب قوله طُولًا؛ لأنه إن كان عرضا فيحتمل أن يكون يقطع بجره هو فيتعثر فيه(٣).

قالوا: والتعبير عن الزوج بالسيد، وكان عادة من عادات القوم في ذلك الوقت، فعبَّر عنه القرآن بذلك حكاية لدقائق ما كان متبعًا في التاريخ القديم. وقال تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ﴾؛ لأنَّ ملك العزيز ليوسف- عليه السلام- لم يكن ملكًا صحيحًا، فيوسف ليس رقيقًا يباع ويشترى، وإنما هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم، وبيع السيارة له، إنما كان على سبيل التخلص منه بعد أن التقطوه من الجب(٤).

وإطلاق لفظ السيد على غير الله:

فعن مطرف بن عبد الله بن الشخير(٥) يحدث، عن أبيه قال: جاء رجل إلى

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧١/٩).

(٢) ينظر: نكت العيون، للماوردي (١٧/٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن عرفة (٣٨٤/٣).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي (٣٤٤/٧).

(٥) هو: مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشيّ العامري، أبو عبد الله: زاهد من كبار التابعين، وله كلمات في الحكمة مأثورة، وأخبار، ثقة. ولد في حياة النبي ﷺ. ثم كانت إقامته ووفاته في البصرة، وتوفى سنة: ٨٧هـ. ينظر: حلية الأولياء، للأصبهاني (١٩٨/٢-٢١٢)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان (٩٧/٢).

النبي ﷺ فقال: أنت سيد قريش؟ فقال النبي ﷺ: "السيد الله"، قال: أنت أفضلها فيها قولًا وأعظمها فيها طولًا؟ فقال رسول الله ﷺ: "ليقل أحدكم بقوله، ولا يستجره الشيطان[١]"، وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"[٢].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "إذا نصح العبد وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين"[٣].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، يقول: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: "قوموا إلى سيدكم، أو خيركم". فقال: "هؤلاء نزلوا على حكمك". فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، قال: "قضيت بحكم الله" وربما قال: "بحكم الملك"[٤].

والفرق بين الرب والسيد: أنَّ الرَّبَّ من أسماء الله تعالى اتفاقًا، واختلف في السيد، ولم يرد في القرآن أنه من أسماء الله تعالى، وهو قول الإمام مالك – رحمه الله–، فإن قلنا: إنه ليس من أسماء الله تعالى؛ فالفرق واضحٌ إذ لا التباس، وإن قلنا إنه من أسمائه فليس في الشهرة والاستعمال كلفظ

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في الكبرى (١٠٠٧٦)، وهو في "عمل اليوم والليلة" (٢٤٧)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني (١٤٨٤)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" صـ٢٢ من طريق أبي نضرة، عن مطرف، بهذا الإسناد، وإسناده صحيح على شرط مسلم" شعيب الأرنؤوط".

(٢) أخرجه أحمد (١٣٨/١٨)، رقم" ١١٥٩٤"، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند أبي سعيد الخدري ﷺ وأخرجه ابن أبي شيبة ٩٦/١٢، والنسائي في الكبرى (٨٥٢٧)، والطبراني في الكبير (٢٦١٢) من طرقٍ عن يزيد بن أبي زياد، به، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب: المناقب، باب: مناقب الحسن والحسين "٣٧٦٨" (٦٥٦/٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق (١٥٠/٣) رقم"٢٥٥٠".

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (١١٢/٥) رقم"٤١٢١".

الرب فيحصل الفرق بذلك أيضًا، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة فهي بأسباب الدنيا، وإنما أطلقه؛ لأنَّ مرجع السيادة إلى معنى الرياسة على من تحت يده والسياسة له وحسن التدبير لأمره ولذلك سُمِّيَ الزوج سيّدًا، قال: وأمَّا المولى فكثير التصرف في الوجوه المختلفة من وليٍ وناصرٍ وغير ذلك، ولكن لا يقال السيد ولا المولى على الإطلاق من غير إضافةٍ إلا في صفة الله تعالى[١]،[٢].

واختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر فمنعه قوم ونقل عن مالك واحتجوا بأنه قيل له: "يا سيدنا قال: إنما السيد الله" وجوزه قوم واحتجوا بقول

النبي ﷺ: "قوموا إلى سيدكم" وهذا أصح من الحديث الأول. قال هؤلاء السيد أحد ما يضاف الله فلا يقال لتميمي أنه سيد كندة ولا يقال لمالك أنه سيد البشر قال وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق والله ﷻ أعلم[٣].

ومن منطلق الهدف من البحث يأتي السؤال: لماذا يقرِّر القرآن هذا اللفظ خصوصًا في مجتمع لم يكن على التوحيد، مع أنه لم يرد في القرآن كله في غير هذا الموضع؟

وكأنَّ القرآن الكريم يعطي لهذه الفترة الزمنية حقها من التقدير والإبراز حتى في الحفاظ على ما كان متداولًا بينها من الألقاب، فقد كان من الممكن ذكر لفظ الزوج أو الصاحب بدلًا من السيد، لا سيما وأن القرآن لا يخاطب

(١) ينظر: معالم السنن، للخطابي (١١٢/٤).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١٧٩/٥، ١٨٠).

(٣) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (٢١٣/٣).

هؤلاء القوم أو يخاطب زمانهم، ولكنه يحكي عنهم؛ فيقرِّر لهم ألفاظهم ويُبقي لهم على ألقابهم، فيؤثر هذه اللفظة على غيرها.

المطلب الرابع: لقب "العزيز".

لقبُ العزيز تكرَّر في سورة يوسف أربع مراتٍ، مرتان يقصد بهما العزيز الذي اشترى يوسف –عليه السلام–، وهو زوج زليخا، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ٥١].

ومرتان يقصد بهما يوسف عليه السلام بعد أن جعله الملِكُ على خزائن مصر، قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ يوسف: ٧٨، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف:٨٨].

والعزيز: من تَعَزَّزَ اللّحمُ: اشتدّ وعَزَّ، كأنه حصل في عَزَازٍ يصعب الوصول إليه، كقولهم: تظلّف أي: حصل في ظلف من الأرض، وَالعَزِيزُ: الذي يقهر ولا يقهر(١).

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني "عزَّ" (٥٦٣/١)

و"العزيز" في كلام العرب تعني: "المَلِك"[١].

وقيل إنَّ اسمه أَطْفِيرُ، بنُ رُوحَيْبٍ، وهو العزيزُ، وكان على خَزائن مصر[٢].

وقيل:" قطيفين"، وقيل" قطين"، و" قطفير"، والذي اشترى يوسف- عليه السلام- رجلٌ اسمه (فوطيفار) رئيس شرط ملك مصر، وهو والي مدينة مصر، ولقب في هذه السورة بالعزيز[٣].

وهو الذي حكاه القرآن الكريم حينما: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾ [يوسف: ٢١]، لم يبيِّن القرآن اسم الذي اشتراه من السيَّارة في مصر ولا منصبه ولا اسم امرأته؛ لأنَّ القرآن ليس كتاب حوادث وتاريخ، وإنما قصصه حكمٌ ومواعظ، وعبرٌ وتهذيبٌ، ولكن وصفه النسوة فيما يأتي بلقب العزيز- وهو اللقب الذي صار لقب يوسف -عليه السلام- بعد أن تولى إدارة الملك في مصر- فالظاهر أنه لقب أكبر وزراء الملك.

وللمفسرين أقوالٌ في اسمه واسم ملك مصر ليس للقرآن شأن فيها، وفي سفر التكوين أنه كان رئيس الشرط وحامية الملك وناظر السجون، وأنَّ اسمه فوطيفار، ووصف فيه بالخصي، ولكن الخصيان لا يكون لهم أزواج. فقيل في تصحيحه: لعله لقبٌ لا يقصد به هذا المعنى، وقد تفرس هذا الوزير الكبير في يوسف أصدق الفراسة إذ وصَّى امرأته بإكرام مثواه[٤].

والعزيز: هو في الأصل الذي يَقهر ولا يُقهر كأنه مأخوذ من عز أي حصل في عزاز وهي الأرض الصلبة التي يصعب وطؤها ويطلق على

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٦٢/١٦)، وتاريخ الأمم والملوك، للطبري (٣٣٥/١).
(٢) ينظر: المصدر السابق رقم "١٨٩٤٢" (١٧/١٥)، وتاريخ الطبري عن محمد بن إسحاق (١٣٥/١).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٢٤٥/١٢).
(٤) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٢٢٤/١٢).

الملك، ولعلهم كانوا يطلقونه إذ ذاك فيما بينهم على كل من ولاه الملك على بعض مخصوص من الولايات التي لها شأنٌ؛ فكان من خواصه ذوي القدر الرفيع والمحل المنيع، وهو بهذا المعنى مراد هنا؛ لأنه أريد به قطفير وهو في المشهور كما علمت إنما كان على خزائن الملك- وكان الملك الريان بن الوليد-.

وإضافتهن لها إليه بهذا العنوان دون أن يصرحن باسمها أو اسمه؛ ليظهر كونها من ذوات الأخطار فيكون عونا على إشاعة الخبر بحكم أن النفوس إلى سماع أخبار ذوي الأخطار أميل، وقيل- وهو الأولى- إن ذاك لقصد المبالغة في لومها بقولهن تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ أي تطلب مواقعته إياها وتتمحل في ذلك، وإيثارهن صيغة للدلالة على دوام المراودة كأنها صارت سجية لها[1].

والتعريف في الملك للعهد، أي ملك مصر، وسماه القرآن هنا ملكا ولم يسمِّه فرعون؛ لأنَّ هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنما كان ملكًا لمصر أيام حكمها (الهكسوس)، وهم العمالقة، وهم من الكنعانيين[2]، أو من العرب، ويعبر عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة، أي: البدو، وقد ملكوا بمصر من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٥٢٥ قبل ميلاد المسيح- عليه السلام-، وكان عصرهم فيما بين مدة العائلة الثالثة عشرة والعائلة الثامنة عشرة من ملوك القبط، إذ كانت عائلات ملوك القبط قد بقي لها حكم في مصر العليا في مدينة (طيبة)، وكانت مدينة (طيبة) قاعدة

(١) ينظر: روح المعاني، للألوسي (٤١٦/٦).

(٢) كَنْعانُ: بالفتح ثم السكون، وعين مهملة، وآخره نون، وهم ولد لنوح سام وحام ويافث وشالوما وهو كنعان وهو الذي غرق ودال لا عقب له، والشام منازل الكنعانيين، وقيل: كنعان بن سام بن نوح إليه ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية، وهو من أرض الشام، وقال بعضهم: كان بين موضع يعقوب بن كنعان ويوسف بمصر مائة فرسخ، بالأردن. ينظر: معجم البلدان، للحموي (٤٨٣/٤، ٤٨٤).

مصر السفلى التي يحكمها قبائل من الكنعانيين عرفوا عند القبط باسم (الهكسوس) أي الرعاة. وكانت مصر العليا المعروفة اليوم بالصعيد تحت حكم فراعنة القبط(١).

وكانت مدينتها (ثيبة أو طيبة)، وهي اليوم خراب وموضعها يُسمَّى الأقصر، جمع قصر؛ لأنَّ بها أطلال القصور القديمة، أي الهياكل، وكانت حكومة مصر العليا أيامئذٍ مستضعفةً لغلبة الكنعانيين على معظم القطر وأجوده.

وكان ملكهم في تلك المدة ضعيفًا؛ لأنَّ السيادة كانت لملوك مصر السفلى، ويقدر المؤرخون أنَّ ملك مصر السفلى في زمن يوسف- عليه السلام- كان في مدة العائلة السابعة عشرة(٢).

فالتعبير عنه بالمَلِكِ في القرآن دون التعبير بفرعون مع أنَّه عبَّر عن ملك مصر في زمن موسى- عليه السلام- بلقب فرعون وهو من دقائق إعجاز القرآن العلمي.

وقد وقع في التوراة؛ إذ عبر فيها عن ملك مصر في زمن يوسف- عليه السلام- فرعون وما هو بفرعون؛ لأن أمته ما كانت تتكلم بالقبطية وإنما كانت لغتهم كنعانية قريبة من الآرامية والعربية، فيكون زمن يوسف- عليه السلام- في آخر أزمان حكم ملوك الرعاة على اختلاف شديد في ذلك(٣).

وقيل: أنه عزل قطفير عن وظيفته وولَّاها يوسف، ويقال: إنَّ أطفير زوج زليخا كان قد مات، فولَّاه الملك مكانه وزوجه امرأته زليخا فكان وزير صدق(٤).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٢٨٠/١٢).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢٤٥/١٢).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٢٤٥/١٢).

(٤) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٤٨٤/١).

ومما يؤكد قوة منصب العزيز أنَّ النسوة استنكرن مراودتها ليوسف – عليه السلام– لكونها زوجته، صاحب الإرشاد: "وإضافتُهن لها إليه "ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ" بذلك العنوانِ دون أن يصرِّحن باسمها أو اسمِه ليست لقصد المبالغةِ في إشاعة الخبر بحكم أن النفوسَ إلى سماع أخبارِ ذوي الأخطارِ أميلُ كما قيل إذ ليس مرادُهن تفضيحَ العزيز بل هي لقصد الإشباعِ في لومها بقولهن[1]".

المطلب الخامس: لفظ "الخمر".

يقول الله تعالى:

١- ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٣٦].

٢- ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ [يوسف: ٤١].

وقد ورد ذكر الخمر في القرآن في موطن النهي والتحريم، كما في قوله تعالى: ﴿ * يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وكما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٤/٢٧٠).

﴿ [المائدة:٩٠]؛ ولكن ما جاء في سورة يوسف لم يكن فيه نهيٌ أو تحريمٌ أو حتى عتاب؛ وقد ورد على لسان الفتى الذي صاحب يوسف عليه السلام في السجن، وجاء على لسان يوسف . عليه السلام . في تأويل رؤياه، وفي ذلك مغزى يستحق النظر والتأمل في ما ورد في آياته.

وإليك تعريف لفظ الخمر:

فأصل الخمر: ستر الشيء، ويقال لما يستر به: خِمَار، لكنَّ الخمار صار في التعارف اسمًا لما تُغَطِّي به المرأة رأسها، وجمعه خُمُر، قال تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور:٣١]، واختمرت المرأة وتَخَمَّرَت، وخَمَّرَتِ الإناء: غطَّيته، وروي "خمّروا آنيتكم[١]"، وأَخْمَرْتُ العجين: جعلت فيه الخمير، والخميرة سمّيت بذلك؛ لكونها مخمورة من قبل. ودخل في خِمَار الناس، أي: في جماعتهم الساترة لهم، والخَمْر سمّيت خمرا؛ لكونها خامرةً لمقرِّ العقل، وهو عند بعض الناس اسم لكلّ مسكر. وعند بعضهم اسم للمتخذ من العنب والتمر، لما روي عنه ﷺ: "الخمر من هاتين الشّجرتين: النّخلة والعنبة[٢]"، ومنهم من جعلها اسمًا لغير المطبوخ، ثمَّ كميّة الطّبخ التي تسقط عنه اسم الخمر مختلف فيها، والخُمَار: الداء

(١) الحديث عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "خمّروا الآنية، وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، واكفتوا صبيانكم عند المساء، فإنّ للجن انتشارًا وخطفة، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإنّ الفويسقة ربما اجترّت الفتيلة، فأحرقت أهل البيت" أخرجه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: لا تترك النار في البيت عند النوم (٨/ ٥٦) رقم"٦٢٩٥"، ومسلم في الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء،..." (١٥٩٤/٣)، رقم" ٢٠١٢".

(٢) الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة، في كتاب: الأشربة، باب: بيان أن جميع ما ينبذ مما يتخذ من النخل والعنب يسمى خمرًا (١٥٧٣/٣) برقم "١٩٨٥"، قال البغوي: معناه: إن معظم الخمر يكون منهما، وهو الأغلب على عادات الناس فيما يتخذونه من الخمور. شرح السنة (١١/ ٣٥٣). وفي الحديث: "والخمر ما خامر العقل" البخاري ١٠/ ٣٩. قال: فيه دليل واضح على بطلان قول من زعم أن الخمر إنما هي من عصير العنب، أو الرطب، بل كل مسكر خمر. اهـ مختصرا. ينظر: شرح السنة (١١/ ٣٥١- ٣٥٣).

العارض من الخمر، وجعل بناؤه بناء الأدواء كالزّكام والسّعال، وخُمْرَةُ الطيّب: ريحه[١].

وعني بقوله: (أَعْصِرُ خَمْرًا)، أي: إني أرى في نومي أنّي أعصر عنبًا. وجاء كذلك في قراءة ابن مسعود فيما ذكر عنه: "إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ عِنَبًا[٢].

وقرأ أُبَيّ وعبدُ الله: "أعصر عنبًا" ينبغي أن يحمل ذلك على التفسير؛ لمخالفته سواد المصحف، وللثابت عنهما بالتواتر قراءتهما أعصر خمرًا[٣].

وقال ابن عطية[٤]: ويجوز أن يكون وصف الخمر بأنَّها معصورة، إذ العصر لها ومن أجلها. وفي مصحف عبد الله: فوق رأسي ثريدًا تأكل الطير منه، وهو أيضًا تفسيرٌ لا قراءةٌ[٥].

وعن الضحاك[٦] أنه يقول في قوله: (إني أراني أعصر خمرًا)، يقول: أعصر عنبًا، وهو بلغة أهل عمان، يسمُّون العنب خمرًا[٧].

أي: عنبًا سمَّى العنب خمرًا باسم ما يؤول إليه، كما يقال: فلان يطبخ

---

(١) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني (٢٩٨/١، ٢٩٩).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري "١٩٢٧٣" (٩٧/١٩٦)

(٣) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، لابن جني (٣٤٣/١).

(٤) هو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي، وكان فقيهًا، عارفا بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع الأدب، بصيرًا بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء، له التفسير المشهور ولي قضاء المرية، وله التفسير العظيم المسمَّى "المحرر الوجيز تفسير الكتاب العزيز"، وتوفي سنة ٥٤١هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي (٦٠/١).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٤٣/٣).

(٦) هو: الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، مفسر. كان يؤدب الأطفال، ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان سنة: ١٠٥هـ. ميزان الاعتدال، للذهبي (١/ ٤٧١)، وطبقات المفسرين، للداوودي (٢٢٢/١).

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري "١٩٢٧٤" (٩٧/١٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره "١١٦٠٠" (٢١٤٢/٧).

الآجر، أي: يطبخ اللبن للآجر. وقيل: الخمر العنب بلغة عمان. وقيل: الخمر بلغة غسان اسم العنب. وقيل: في لغة أزد عمان، وقيل: أذرعان، وقال المعتمر: لقيت أعرابيًّا يحمل عنبًا في وعاء فقلت: ما تحمل؟ قال: خمرًا، أراد العنب(١).

ويجوز أن يكون وصف الخمر بأنها معصورة، إذ العصر لها ومن أجلها(٢).

وفي تسمية العنب خمرًا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه سماه باسم ما يؤول إليه؛ لأن المعنى لا يلتبس، كما يقال: فلان يطبخ الآجُرَّ ويعمل الدبس، وإنما يطبخ اللبِن ويصنع التمر، وهذا قول أكثر المفسرين. قال ابن الأنباري(٣): وإنما كان كذلك؛ لأن العرب توقع بالفرع ما هو واقع بالأصل كقولهم: فلان يطبخ آجُرًّا.

والثاني: أنَّ الخمر في لغة أهل عُمان اسم للعنب، قاله الضحاك، والزجاج(٤)، وقد نطقت قريش بهذه اللغة وعرفتها.

والثالث: أنَّ المعنى: أعصر عنب خمر، وأصل خمر، وسبب خمر، فحذف المضاف، وخلفه المضاف إليه، كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف: ٨٢]، وأهل عمان يسمون العنب بالخمر فوقعت هذه

(١) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤٩١/٢)، والكشاف، للزمخشري (٤٦٨/٢)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٢٤٤/٣)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٢٧٥/٦)، وروح المعاني، للألوسي (٤٢٩/٦)

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٤٤/٣).

(٣) هو: القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، أبو محمد: علامة بالأدب والأخبار. من أهل الأنبار، سكن بغداد، وتوفي سنة:٣٠٤هـ. له تصانيف، منها: "خلق الإنسان" و "الأمثال" و "غريب الحديث". وفيات الأعيان، لابن خلكان (١/ ٥٠٣، ٥٠٤)، ومعجم الأدباء، للحموي (١٩٦/٦).

(٤) هو: إبراهيم بن السرىّ بن سهل أبو إسحاق الزّجّاج النحوىّ، وسمّي بالزجاج لأنه كان يخرط الزجاج، صاحب كتاب معاني القرآن. قَالَ الْخَطِيب: كَانَ من أهل الْفضل وَالدّين، حسن الِاعْتِقَاد، جميل الْمَذْهَب، وله مؤلّفات حسان في الأدب. وتوفي سنة ٣١١هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي (٩/١)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢١٩/٤)، وبغية الوعاة، للسيوطي (٤١١/١، ٤١٣).

اللفظة إلى أهل مكة فنطقوا بها، قال الضحاك: نزل القرآن بألسنة جميع العرب(١).

وقراءة أُبَيّ وعبد اللَّه "أَعْصِر عنبًا" لا تدل على الترادف لإرادتها التفسيرَ لا التلاوة، وهذا كما في مصحف عبد اللَّه "فوق رأسي ثريدًا" فإنه أراد التفسير فقط(٢).

وقراءة ابن مسعود وأُبَيّ في الشواذ (أعصر عنبًا) تفسيرٌ لا قرآنٌ، وما كلُّ العنب لأجل التخمير، فما نقل من أنَّ عرب غسان وعمان يسمون العنب خمرًا، فمحمول على هذا النوع المخصوص منه؛ لكثرة مائه وسرعة اختماره، دون ما يؤكل في الغالب تفكها لكبر حجمه واكتناز شحمه وقلة مائه، ولكل منهما أصناف ﴿ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ ﴾ [يوسف: ٣٦]، الطير جمع واحده طائر، وتأنيثه أكثر من تذكيره(٣).

والعصر: الضغط باليد أو بحجر أو نحوه على شيء فيه رطوبة لإخراج ما فيه من المائع زيت أو ماء، والعصير: ما يستخرج من المعصور سمي باسم محله، أي معصور من كذا(٤).

ولعلَّ ما ذكره البعض من أنه عصير العنب، وليس ما يُتَّخذُ خمرًا مسكرًا هو ما يليق بحال الملك القائم في ذلك الوقت، فليس من الحكمة للملك الذي يحكم ويدير مملكته أن يتعاطى الخمر، ولذلك خمر الجنة ليس فيها من صفات خمر الدنيا، إلا تسمية الشراب والخمر فقط، لكن ليس فيها ما يُذهب العقل ويسرق الذهن.

---

(١) ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٤٣٨/٢، ٤٣٩) ومفاتيح الغيب، للرازي (٤٥٤/١٨).

(٢) ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي (٤٩٦/٦).

(٣) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٢٥٠/١٢).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٢٦٩/١٢).

المطلب السادس: لقب "المَلِك"

تكرَّر لقب "المَلِكِ" خمس مراتٍ في سورة يوسف، وجاء وصفًا لحاكم مصر، ولم يأت في القرآن الكريم إلا علمًا على الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، ومنه ما وهبه الله لـ(داود) -عليه السلام- فقال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٥١] ولكن ما جاء في سورة يوسف -عليه السلام- وصفه للحاكم بالملك يختلف، كيف لا والقوم لم يكونوا على التوحيد بعد، فقال تعالى:

١- ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يوسف: ٤٣.

٢- ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾يوسف: ٥٠.

٣- ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ يوسف: ٥٤.

٤- ﴿ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ يوسف: ٧٢.

٥- ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف: ٧٦.

فالمَلِكُ: هو المتصرّف بالأمر والنّهي في الجمهور، وذلك يختصّ بسياسة الناطقين، ولهذا يقال: مَلِكُ الناسِ، ولا يقال: مَلِك الأشياءِ، وقوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة: ٤] فتقديره: الملك في يوم الدين، وذلك لقوله: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ غافر: ١٦[1].

وإليك أقوال العلماء في المراد بـ"الملك":

فقال الطبري[2]: وقال مَلِكُ مصر: إني أرى في المنام سبع بقرات سمانٍ يأكلهن سبعٌ من البقر عجاف[3].

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني "ملك" (١/٧٧٤).

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق أحد الائمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظًا لكتاب الله، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، ومن كتبه: "جامع البيان في التفسير"، و"تاريخ الأمم"، و"كتاب القراءات"، وتوفي سنة:٣١٠هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (٢/٣٥١)، وطبقات المفسرين، للسيوطي (١/٩٥، ٩٦).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٦/١١٦).

وقد ذكر العلماء اسم هذا الملك؛ فعن مجاهد[١] قال: إنَّ الملك ريان بن الوليد، رأى الرؤيا التي هالته وعرف أنها رؤيا واقعة، ولم يدر ما تأويلها فقال للملأ حوله من أهل مملكته إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات[٢].

وقد وصفه المفسرون بملك مصر الأكبر أو الأعظم، فرأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة هالته[٣].

وقال المَلِكُ هو ملك مصر الذي كان العزيز خادمًا له، واسمه ريّان بن الوليد، وقيل: مصعب بن الريان، وكان من الفراعنة، وقيل: إنَّه فرعون موسى عمّر أربعمائة سنة حتى أدركه موسى وهذا بعيدٌ[٤].

(وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ) وهو شخص قادر واسع المقدور إليه السياسة والتدبير، لملأه وهم السحرة والكهنة والحزرة والقافة والحكماء، وأكد ليعلم أنه محق في كلامه غير ممتحن[٥].

والمراد بالملك هنا: هو الملك الأكبر، وهو الريان بن الوليد الذي كان العزيز وزيرًا له[٦].

وَقالَ الْمَلِكُ وهو الريان وكان كافرًا، ففي إطلاق ذلك عليه دلالة على ما قيل: على جواز تسمية الكافر ملكًا، ومنعه بعضهم، وكذا منع أن يقال:

---

(١) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، ويقال: إنه مات وهو ساجد. وتوفي سنة: ١٠٤هـ. ينظر: غاية النهاية، لابن الجزري (٤١/٢)، وطبقات المفسرين، للداوودي (٣٠٥/٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢١٥٠/٧)، رقم"١١٦٤٧"، ومدارك التنزيل، للنسفي (١١٣/٢)، والكشاف، للزمخشري (٤٧٣/٢).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٤٩٤/٢)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٢٤٧/٣).

(٤) ينظر: التسهيل، لابن جزي (٣٨٧/١).

(٥) ينظر: نظم الدر، للبقاعي (٩٨/١٠).

(٦) ينظر: فتح القدير، للشوكاني (٧٣/٣).

له أمير احتجاجًا بأنه ﷺ كتب إلى هرقل "عظيم الروم" ولم يكتب ملك الروم، أو أميرهم لما فيه من إيهام كونه على الحق، وجعل هذا حكاية اسم مضى حكمه وتصرم وقته، ومثله لا يضر، أي قال لمن عنده: إِنِّي أَرى أي رأيت(١).

وكان ملك مصر في عهد يوسف من ملوك العرب المعروفين بالرعاة (الهكسوس)(٢).

ذكر المؤرخون أن ملك مصر في عهد يوسف كان من ملوك العرب الذين يسمون بالرعاة (الهكسوس) وأنه قد رأى رؤيا عجز الكهنة والعلماء ورجال الدولة عن تأويلها(٣).

والتعريف في الملك للعهد، أي مَلِك مصر. وسماه القرآن هنا ملكًا ولم يسمه فرعون؛ لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنما كان ملكا لمصر أيام حكمها (الهكسوس)، وهم العمالقة، وهم من الكنعانيين، أو من العرب، ويعبر عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة، أي البدو. وقد ملكوا بمصر من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٥٢٥ قبل ميلاد المسيح- عليه السلام-. وكان عصرهم فيما بين مدة العائلة الثالثة عشرة والعائلة الثامنة عشرة من ملوك القبط، إذ كانت عائلات ملوك القبط قد بقي لها حكم في مصر العليا في مدينة (طيبة) كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ يوسف: ٢١، وكان ملكهم في تلك المدة ضعيفا؛ لأن السيادة كانت لملوك مصر السفلى. ويقدر المؤرخون أن ملك مصر السفلى في زمن يوسف-

(١) ينظر: روح المعاني، للألوسي (٤٣٨/٦).

(٢) ينظر: المنار، لمحمد رشيد رضا (٢٦١/١٢).

(٣) ينظر: تفسير المراغي (١٥٣/١٢).

عليه السلام- كان في مدة العائلة السابعة عشرة[١].

فالتعبير عنه بالملك في القرآن دون التعبير بفرعون مع أنه عبر عن ملك مصر في زمن موسى- عليه السلام- بلقب فرعون هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي. وقد وقع في التوراة إذ عبر فيها عن ملك مصر في زمن يوسف- عليه السلام- فرعون وما هو بفرعون؛ لأن أمته ما كانت تتكلم بالقبطية وإنما كانت لغتهم كنعانية قريبة من الآرامية والعربية، فيكون زمن يوسف- عليه السلام- في آخر أزمان حكم ملوك الرعاة على اختلاف شديد في ذلك[٢].

ونحن نعلم أن حكام مصر القديمة كانوا يُسمَّوْنَ الفراعنة، وبعد أن اكتُشِفَ "حجر رشيد"، وتمَّ فَكُّ ألغاز اللغة الهيروغليفية؛ عرفنا أن حكم الفراعنة قد اختفى لفترة؛ حين استعمر مصرَ ملوكُ الرُّعاة، وهم الذين يُسمَّوْنَ الهكسوس[٣].

وكانت هذه هي الفترة التي ظهر فيها يوسف، وعمل يوسف وأخوه معهم، فلما استرجع الفراعنة حكم مصر طردوا الهكسوس، وقتلوا مَنْ كانوا يُوالونهم.

وحديث القرآن عن وجود مَلِك في مصر أثناء قصة يوسف . عليه السلام . هو من إعجاز التنبؤ في القرآن[٤].

ولذلك قال صاحب التحرير والتنوير: واسم فرعون يومئذ أبو فيس أو أبيبي وأهل القصص ومن تلقف كلامهم من المفسرين سموه ريان بن الوليد وهذا من أوهامهم وكان ذلك في حدود سنة ١٧٣٩ قبل ميلاد المسيح،

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٢٠٨/١٢).

(٢) ينظر: المصدر السابق نفس الصفحة (٢٠٨/١٢).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (٦٩٦٧/١١، ٦٩٦٨).

(٤) راجع ص ١١-١٣ من بحث عصر يوسف في مصر د/ محمد إبراهيم مهران.

ثم كانت سكنى بني إسرائيل مصر بسبب تنقل يعقوب وأبنائه إلى مصر حين ظهر أمر يوسف وصار بيده حكم المملكة المصرية السفلى(١).

ولم يرد في القرآن ذكرٌ للقب الملِك إلا في ما جاء في ملك مصر في عهد يوسف عليه السلام، وقد وردت صفة الملَكية في سورة البقرة، في قصة طالوت في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وكذلك في قصة الذي حاج إبراهيم في ربه"، وإنما سمَّى ذلك ملكًا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، أي: لأن آتاه إياه الملك؛ حيث أبطره ذلك وحملَه على المُحاجّة أو حاجَّه لأجله وضعًا للمُحاجّة التي هي أقبحُ وجوهِ الكفر موضعَ ما يجبُ عليه من الشكر كما يقال: عاديتني؛ لِأنْ أحسنتُ إليك أو وقتَ أن آتاه الله وهو حجةٌ على من منع إيتاءَ الله المُلك للكافر.

ويختلف العلماء في تحديد عصر يوسف . عليه السلام . وبالتالي وقت دخول بني إسرائيل مصر، ولعل السبب وراء ذلك عدم ذكر القرآن والتوراة وقت دخول بني إسرائيل مصر، ولم يتعرض أيٌّ منهما لاسم الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام (٢).

الرأي الأول: يذهب الرأي إلى أنَّ الإسرائيليين قد جاءوا من كنعان إلى مصر على أيام الفرعون "أمنحتب الثاني" (١٤٢٧-١٤٠٠ ق.م)، وهو

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٤٩١/١).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢٥١/١).

الرأي الأقدم والأقل قبولًا وانتشارًا اليوم.

وهو ضعيفٌ؛ لأن التوراة تطالعنا بأن بني إسرائيل قدموا إلى مصر بدعوة من يوسف . عليه السلام .، بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان(١).

الرأي الثاني: أنَّ هبوط بني إسرائيل مصر في عصر الهكسوس اعتمادًا على ما جاء في سفر التكوين من ركوب يوسف العربة الحربية باعتباره "نائب الملك"، ولم تكن إلا في عصر الهكسوس(٢).

ودليلهم: أن القرآن الكريم لقَّب الحاكم بـ"الملك" بينما حرص على لقب الحاكم في مصر في عهد موسى علي السلام بـ" الفرعون"، لقب الملك لم يستعمل للدلالة على شخص الملك إلا منذ أيَّام "تحتمس الثالث"، وبصفةٍ مؤكدةٍ منذ أيام "اخناتون" مما دل على أنَّ عصر يوسف عليه السلام إنما كان قبل عصر الأسرة الثامنة عشرة التي استعمل فيها لقب "فرعون"، وبالتالي فهو عصر الهكسوس.

الرأي الثالث: مطلع عصر الدولة الوسطى: في عصر الأسرة الحادية عشرة وعاصر خمسةً من ملوكها، مستدلًّا بشواهد من الآثار المصرية(٣).

الرأي الرابع: أنَّ مجيء الصديق لمصر على أيَّام "اخناتون: ويتجه هذا الرأي إلى أنَّ قدوم يوسف عليه السلام لمصر وبيعه للعزيز كان في مطلع حكم "أمنحتب الرابع" " أخناتون".

والراجح هو الرأي القائل بدخول الإسرائيليين مصر هو عصر الهكسوس، ووقع الأحداث حوالي"١٦٥٠-١٥٥٠ق.م"(٤).

---

(١) راجع: محمد قاسم محمد: التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل، القاهرة ٣٧ .٩٢ – ٨٨ ص، ١٩٩٢م.

(٢) ينظر: سفر التكوين: ٤١: ٤١-٤٣.

(٣) ينظر: عصر يوسف في مصر د/ محمد إبراهيم مهران (ص ١٦).

(٤) ينظر: المرجع السابق (ص١٧).

ولكن في سورة يوسف تعرَّض القرآن لأكثر من مرة لذكر الملِك، وهذا أمرٌ يثير البحث وراء ذلك، وهذا يدلِّل على أنَّ الفترة الزمنية الفريدة من نوعها في الحكم في مصر القديمة ساد فيها العدل والحكم الرشيد بين الناس.

المطلب السابع: لفظ "الدين"

يقول الله تعالى:﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف: ٧٦].

في هذه الآية تعرَّض القرآن للحديث عن قصة أخذ يوسف عيه السلام أخاه نيامين، بتدبير من الله تعالى، ولولا ذلك ما استطاع أخذه، وحينما تحدث القرآن أثبت شيئًا عجيبًا يعطي تساؤلًا، وهو لماذا عبَّر القرآن الكريم عن هذا المعنى بهذه اللفظة التي تدلِّلُ على وجود حكومةٍ قويةٍ يسودها العدل والاحتكام إلى ما تعارفوا عليه من قوانينَ وأعرافٍ تعارفوا عليها واحتكموا إليها، وهذه اللفظة لم يعبر عنها يوسف .عليه السلام. أو آحادٌ من الناس، وإنما هي من كلام ربِّ العزَّة ﷻ وتعالى؛ ألا وهي لفظة "الدين"

فالدِّينُ: يأتي على معانٍ؛ منها: الطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدِّينُ كالملّة، لكنّه يقال اعتبارًا بالطاعة والانقياد للشريعة، قال:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ ﴾ آل عمران: ١٩، وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ النساء: ١٢٥، أي: طاعة،﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ النساء:١٤٦، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ

لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ النساء: ١٧١، وذلك حثّ على اتّباع دين النّبيّ . ﷺ . الذي هو أوسط الأديان كما قال:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ البقرة: ١٤٣، وقوله:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ البقرة: ٢٥٦، قيل: يعني الطاعة، فإنّ ذلك لا يكون في الحقيقة إلّا بالإخلاص، والإخلاص لا يتأتّى فيه الإكراه، وقيل: إنّ ذلك مختصّ بأهل الكتاب الباذلين للجزية. وقوله: ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣، يعني: الإسلام، لقوله:﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا ﴾ آل عمران: ٨٥، ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ﴾ التوبة: ٢٩ [(١)] .

والدين في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾، إما أن يكون:

١- الحكم والقضاء: أي: ما كان يوسف ليأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم؛ لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترقّ أحد بالسَّرَقة، فلم يكن ليوسف أخْذ أخيه في حكم ملك أرضه، إلا أن يشاء الله بكيده الذي كاده له، حتى رضوا بحكمهم عليه، وطابت أنفسهم بالتسليم، فعن قتادة: ما كان ذلك في قضاء الملك أن يستعبد رجلًا بسرقة[(٢)]، وعنه قتادة أيضًا: ﴿ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ ﴾، قال: لم يكن ذلك في دين الملك، أي: حكمه[(٣)].

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٣٢٣/١) مادة " دين".
(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري "١٩٥٧٢" (١٨٧/١٦).
(٣) ينظر: المصدر السابق "١٩٥٧٣" (١٨٨/١٦، ١٨٩).

٢- السلطان: أي: ما كان ليأخذ أخاه في سلطان الملك، كما جاء عن ابن عباس قوله: ﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ ﴾، يقول: في سلطان الملك[١].

٣- العادة: عاداته، أي يظلم بلا حجة[٢].

وهذه الأقوال وإن اختلفت ألفاظ قائليها في معنى "دين الملك"، فمتقاربة المعاني؛ لأن من أخذه في سلطان الملك عامله بعمله، فبرضاه أخذه إذًا لا بغيره، وذلك منه حكم عليه، وحكمه عليه قضاؤه. وأصل "الدين"، الطاعة[٣].

فليس في دين الملك أن يؤخذ السارق بسرقته. قال: وكان الحكم عند الأنبياء، يعقوب وبنيه، أن يؤخذ السارق بسرقته عبدًا يسترقّ[٤].

فيوسف -عليه السلام- لم يكن يتمكَّن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل إلى ذلك، وهو ما أجرى على ألسنة الإخوة أنَّ جزاء السارق الاسترقاق، فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى. نرفع درجات من نشاء، بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته[٥][٧]، وقد عُلِمَ أنه كان في دين ملك مصر ما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ، لا أن يلزم ويستعبد إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ[٦].

وكان الاسترقاق هو دينُ آلِ يعقوب أنَّ الاسترقاق جزاءٌ للسَّارقِ[٧].

---

(١) ينظر: المصدر السابق "١٩٥٧٠" (١٦/١٨٨، ١٨٩).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/٢٣٨).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٦/١٩٠).

(٤) ينظر: المصدر السابق (١٦/١٨٩).

(٥) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٢/٥٠٥، ٥٠٦).

(٦) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٢/٤٩١)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٦/٣٠٦).

(٧) ينظر: اللباب، لابن عادل (١١/١٧١)، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٤/٢٩٧).

وهذا من الكيد الذي يسره الله ليوسف عليه السلام ، وذلك أنه كان في دين يعقوب أن يستعبد السارق، وكان في دين مصر أن يضرب ويضعف عليه الغرم، فعلم يوسف أن إخوته- لثقتهم ببراءة ساحتهم- سيدعون في السرقة إلى حكمهم فتحيل لذلك، واستسهل الأمر- على ما فيه من رمي أبرياء بالسرقة وإدخال الهم على يعقوب عليه السلام، وعليهم- لما علم في ذلك من الصلاح في الأجل، وبوحي لا محالة وإرادة من الله محنتهم بذلك، - هذا تأويل قوم، ويقويه قوله تعالى: " كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ "[1].

وقد كانت الحيلة أنَّ يُقرُّوا بالعقوبة إذا ثبتت على أخيهم حتى لا يكون ذلك الحكم مخالفًا لما هم عليه من المستقر في شريعتهم.

وجملة "ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله" بيان للكيد باعتبار جميع ما فيه من وضع السقاية ومن حكم إخوته على أنفسهم بما يلائم مرغوب يوسف- عليه السلام- من إبقاء أخيه عنده، ولولا ذلك لما كانت شريعة القبط تخوله ذلك، فقد قيل: إنَّ شرعهم في جزاء السارق أن يُؤخذ منه الشيء ويُضرب ويُغرم ضعفي المسروق أو ضعفي قيمته. وعن مجاهد في دين الملك أي حكمه وهو استرقاق السراق. وهو الذي يقتضيه ظاهر الآية لقوله: ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك أي لولا حيلة وضع الصواع في متاع أخيه. ولعل ذلك كان حكمًا شائعًا في كثيرٍ من الأمم، ألا ترى إلى قولهم: من وجد في رحله فهو جزاؤه، أي أنَّ ملك مصر كان عادلًا فلا يؤخذ أحد في بلاده بغير حق. ومثله ما كان في شرع الرومان من استرقاق المدين، فتعين أنَّ المراد بالدين الشريعة لا مطلق السلطان[2].

(١) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٦٣/٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٣٢/١٣).

يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله أن يسلم برقبته إلى المسروق منه فيسترقه سنة، وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق، وكان في حكم ملك مصر أنْ يُضرب السارق ويُغرم ضعفي قيمة المسروق، وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا؛ فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه في السارق؛ فلذلك ردَّ الحكم إليهم، والمعنى: أن جزاء السارق أن يستعبد سنة جزاء له على جرمه وسرقته فَهُوَ جَزاؤُهُ يعني هذا الجزاء جزاؤه كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ يعني مثل هذا الجزاء وهو أن يسترقّ السارق سنة نجزي الظالمين، ثم قيل: إنَّ هذا الكلام من بقية كلام إخوة يوسف، وقيل: هو من كلام أصحاب يوسف فعلى هذا إن إخوة يوسف لما قالوا: جزاء السارق أن يسترق سنة، قال أصحاب يوسف: كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين(١).

وبناءً على ما ذُكرَ من أقوالٍ: يحتمل أن كون حكم الاسترقاق كان في شريعة إخوة يوسف لا في حكم وقضاء ملك مصر، فاستلهم منهم الحكم بإقرارهم بالحكم على أخيهم.

ويحتمل أن يكون ذلك الحكم كان سائدًا في مصر، وكان ملكها عادلًا، لا يأخذ أحدًا بغير جرم، فكان الكيد، والحيل في وضع صواع الملك، وكله بتدبير الله تعالى.

وممَّا يؤكِّدُ ذلك أنهم لما تكلموا عن سرقة أخيهم للصواع، وعضوا بسرقة أخيه يوسف من قبل، وقد كان من أمره عليه السلام كما ذكر ابن جرير الطبري عن مجاهد قال: كان أوّل ما دخل على يوسف من البلاء، فيما بلغني أنَّ عَمَّته ابنة إسحاق، وكانت أكبر ولد إسحاق، وكانت إليها منطقة

(١) ينظر: لباب التأويل، للخازن (٤٤٤/٢).

إسحاق –عليه السلام– وكانوا يتوارثونها بالكبر، فكان من سرقها مِمَّن وليها كان له سَلَمًا[١] لا ينازع فيه، يصنع فيه ما شاء. وكان يعقوب حين وُلِد له يوسف، كان قد حضَنته عَمَّتَهُ فكان معها وإليها، فلم يحبَّ أحدٌ شيئًا من الأشياء حُبَّهَا إياه. حتى إذا ترعرع وبلغ سنواتٍ، ووقعت نفس يعقوب عليه، أتاها فقال، يا أخيَّة سلّمي إليّ يوسف، فو الله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة! قالت: فو الله ما أنا بتاركته، والله ما أقدر أن يغيب عني ساعة! قال: فو الله ما أنا بتاركه! قالت: فدعه عندي أيامًا أنظرْ إليه وأسكن عنه، لعل ذلك يسلّيني عنه، أو كما قالت. فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى مِنْطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت مِنْطقة إسحاق، فانظروا من أخذها ومن أصابها؟ فالتُمِسَتْ، ثم قالت: كشِّفوا أهل البيت! فكشفوهم، فوجدوها مع يوسف، فقالت: والله إنه لي لسَلَمٌ أصنع فيه ما شئت. قال: وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر، فقال لها: أنت وذاك إن كان فعل ذلك، فهو سَلَمٌ لك، ما أستطيع غير ذلك. فأمسكته فما قدر عليه حتى ماتت. قال: فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه: ﴿ * قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾[٢].

فكان هذا الحكم في شريعتهم أمرٌ مسلَّمٌ به، ولذلك أقرَّ يعقوب عليه السلام لأخته بالحكم، وإنَّ ملك مصر كان عادلًا فلا يؤخذ أحد في بلاده بغير حق، ولذلك في قول تعالى: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا

(١) "السلم" (بفتحتين) انقياد المذعن المستخذى، كالأسير الذي لا يمتنع ممن أسره، يقال:" أخذه سلمًا"، إذا أسره من غير حرب، فجاء به منقادًا لا يمتنع. ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٠/٣) "سلم"، ولسان العرب (٢٩٣/١٢) "سلم".

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري "١٩٦٠٥" (١٩٦/١٦، ١٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره "١١٨٣٧" (٢١٨٧/٧).

مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ [يوسف:٧٩]، فهذا ظاهره: أنه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده، فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلمًا في مذهبكم، فلِمَ تطلبون ما عرفتم أنه ظلمٌ؟، وباطنه: إنّ الله أمرني وأوحى إليّ بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها في ذلك، فلو أخذت غير من أمرني بأخذه كنت ظالمًا وعاملًا على خلاف الوحى(١).

وكان من الممكن أن يُعبِّرَ القرآن عن ذلك بكلمة أخرى، كـ "حكم- قضاء- سلطان" إلى آخر ما قد يُعبَّرُ عنه بكلمةٍ أخرى سوى كلمة الدين، إلا أنَّ كلمة الدين تدلُّ على أمرٍ يدينون به جميعًا – الملك ورعيته-، فلو استبدلها بكلمة أخرى لظُنَّ أنّه أمرٌ استبدَّ به الملك على من يحكم عليهم حكمًا، أو أقهرهم عليه، وهذا من تقدير القرآن الكريم وما أظهره القرآن من إكبارٍ وتقديرٍ لهذه المرحلة العادلة التي استحقت الوقف عندها هذا القدر الكبير لإظهار ما كان فيها من مظاهر الاستقرار في الحكم والعلاقة بين الحاكم والمحكومين، وهو مظهرٌ من مظاهر الملكية المستقرة للشعوب.

فكلمة الدين وإن وقعت في القرآن للتعريف بأهل الشرك، فتكون في مقابلة ذكر دين أهل الإيمان؛ كما في قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون: ٦]، وجاء على لسان فرعون؛ حتى اعتبر ما يفعله بنو إسرائيل معه دينًا، فقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝٢٦ ﴾ [غافر:٢٦]، وما جاء في سورة يوسف

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤٩٣/٢)، والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٣٢/١٣).

من التعبير بالدين عن "حكم أو قضاء أو سلطان أو عادة الملك" في مصر يعتبر تقديرًا لهذه الفترة المستقرة في الحكم بما كان سائدًا من مظاهر العدل حتى يسميه القرآن دينًا، أي شيئًا مسقرًّا عند الناس في ذلك الوقت.

الخاتمة

وفي الختام، أُشيرَ إلى أنَّ هذه السورة أبرزت جمال القرآن في ذكر ألفاظ القوم آنذاك، مع أنَّ العربية لم تكن لغتهم، ومع ذلك أبقى القرآن ألفاظهم وألقابهم؛ فقد جاء:

١- ذكر "السجود" على لسان يوسف أولًا، ثم ذكَرَهُ الله تعالى لما دخلوا مصر جميعًا على يوسف.

٢- ذكر "الرَّبَّ" في مواضع اختلف فيها، هل المقصود بها الله عزَّ وجلَّ، أم العزيز والملك، ثم ذكرها في مواضع لا اختلاف في المقصود بها.

٣- ذكر لقب "السيد"، وقد كان يُطلق عند أهل مصر على الزوج.

٤- ذكر لقب "العزيز" على عكس ما ذكر هامان وزير فرعون الأعظم باسمه مجرَّدًا.

٥- ذكر لفظ "الخمر" وهو ما جاء على لسان الساقي في طلب تفسير رؤياه، وجاء على لسان يوسف عليه السلام في تفسير رؤيا الساقي.

٦- ذكر لقب "الملك" وهو جمالٌ من القرآن حيث يقرِّرُ نظامًا قائمًا على قواعد وشريعةٍ أقروها، وعدالة احتكموا إليها.

٧- ذكر "الدِّين"، وهو أمرٌ قدَّره القرآن الكريم فاعتبر ما تواطأ عليه الناس مما يحقق العدل والمساوة بين الناس دينًا.

كلُّ ما ذكرت يؤكد على جلال القرآن وجماله، في عدم التحفظ من ورود ألفاظٍ أبطلتها شريعتنا ونهت عنها.

- وأختم بحثي بأنَّنا بحاجة إلى البحث والتنقيب عن أسرار هذا الكتاب الكريم، وفي ذلك إبراز لجماله وعظمة بيانه.

وبعد، فأسأل الله تعالى القبول والسداد، وأسأله العفو عن الخطأ والزلات، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب الدعوات.

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: التفسير وعلوم القرآن

١- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت:٩١١هـ)، طبعة: دار الفكر، سنة: ١٤١٦هـ_ ١٩٩٦م.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم "تفسير أبي السعود": لأبي السعود محمد ابن محمد بن مصطفى العمادي (ت:٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي _ بيروت.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٨هـ.

٤- البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، طبعة: دار الفكر_ بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٥- التبيان في عدِّ آي القرآن: أبو عمر عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (٤٤٤هـ)، تحقيق: د/ غانم قدوري الحمد، مركز المنشورات للمخطوطات والوثائق بالكويت، الطبعة الأولي: ١٤١٤هـ_ ١٩٩٤م.

٦- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد": محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، طبعة: الدار التونسية للنشر _ تونس، سنة: ١٩٨٤هـ.

٧- تفسير القرآن العظيم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس ابن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) طبعة: مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة:١٤١٩هـ.

٨- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ _ ١٩٩٩م.

٩- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى ١٣٦٥هـ _ ١٩٤٦م.

١٠-التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة_ القاهرة، الطبعة: الأولى سنة:٢٠٠٧_٢٠٠٩م.

١١-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية ١٤١٨هـ.

١٢-جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ _ ٢٠٠٠م.

١٣-الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، طبعة: دار الكتب المصرية _ القاهرة، الطبعة: الثانية ١٣٨٤هـ_ ١٩٦٤م.

١٤-حسن المدد في معرفة فن العدد: برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت:٧٣٢هـ)، إعداد: بشير ابن حسن الحميري، طباعة مجمع الملك فهد عام١٤٣١هـ.

١٥-حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ).

١٦-دراسة تحليلية لعصر النبي يوسف عليه السلام في مصر: د. إبراهيم محمد بيومي مهران، كلية الآداب _جامعة عين شمس_، ضمن دراسات في آثار الوطن العربي.

١٧-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية_ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ.
١٨-زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي_ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
١٩-سفر التكوين: إدواردو غاليانو، در الحوار للنشر والتوزيع ٢٠١٥م.
٢٠-سلسلة القصص القرآني- سورة يوسف دراسة تحليلية: د/ أحمد نوفل- كلية الشريعة_ الجامعة الأردنية، دار الفرقان _عمان الأردن، الطبعة الأولى: ١٩٨٩م _١٤٠٩هـ.
٢١-غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ) تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ.
٢٢-فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، طبعة: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى سنة: ١٤١٤هـ.
٢٣-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي_ بيروت.
٢٤-الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ_ ٢٠٠٢م.
٢٥-لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ.
٢٦-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:

٥٤٢هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى عام:١٤٢٢هـ.

٢٧-اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٢٨-مرشد الخلان إلى معرفة عدِّ آي القرآن، شرح وتوجيه نظم "الفرائد الحسان" عبد الفتاح القاضي: إعداد/ عبد الرزاق على إبراهيم موسى، المكتبة العصرية –صيدا– بيروت _ لبنان، الطبة الأولى ١٤٠٩هـ_١٩٨٩م.

٢٩-معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود ابن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت:٥١٠هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي_ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

٣٠-معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، طبعة: عالم الكتب_ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣١-مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت: ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية _بيروت، الطبعة: الأولى عام: ١٤٢١هـ_ ٢٠٠٠م.

٣٢-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي ابن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٣-النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية _ بيروت / لبنان.

ثالثًا: الحديث وعلومه

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف ابن عبد الله ابن محمد ابن عبد البر ابن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ_ ١٩٩٢م.

٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه= صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد ابن الحسين ابن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ.

٤- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث ابن إسحاق ابن بشير ابن شداد ابن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، طبعة: المكتبة العصرية، صيدا_ بيروت.

٥- سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، الترمذي، أبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، طبعة: مصطفى البابي الحلبي_ مصر، الطبعة: الثانية ١٣٩٥هـ _ ١٩٧٥م.

٦- السنن الصغير للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ _ ١٩٨٩م.

٧- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية _ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ _ ١٩٩٠م.

٨- المؤتَلِف والمختَلِف: أبو الحسن علي ابن عمر ابن أحمد ابن مهدي ابن مسعود ابن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق ابن عبد الله ابن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي _ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ _ ١٩٨٦م.

٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد ابن محمد ابن حنبل ابن هلال ابن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط_ عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، دار الحديث، المكنز الإسلامي عام: ١٩٦٩م.

١٠-صحيح مسلم" المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ": مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي _ بيروت.

١١-المعجم الأوسط: لسليمان بن أحمد ابن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، طبعة: دار الحرمين _ القاهرة.

١٢-المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني: سليمان بن أحمد ابن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي.

رابعًا: كتب التراجم والأعلام

١- إنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي _ القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية _ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ _ ١٩٨٢م.

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض_ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى سنة: ١٤١٥هـ_ ١٩٩٤م.

٣- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي ابن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر عام: ٢٠٠٢م.
٤- أعلام العراق للأثري "سيرة الإمام الكبير الألوسي": محمد بهجة الأثري، طبعة الدار العربية للموسوعات_ بيروت، الأولى ١٤٢٢هـ.
٥- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، طبعة: دار هجر، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ_ ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية_ لبنان/ صيدا.
٧- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد ابن علي ابن ثابت ابن أحمد ابن مهدي الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى١٤٢٢هـ _٢٠٠٢م.
٨- تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد ابن علي ابن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.
٩- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٥م.
١٠-شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، طبعة: دار ابن كثير، دمشق_ بيروت، الطبعة: الأولى سنة: ١٤٠٦هـ_ ١٩٨٦م.
١١-صفة الصفوة: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ_٢٠٠٠م.

١٢-طبقات الحفاظ = تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت_ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ_ ١٩٩٨م.

١٣-الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر_ بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٦٨ م.

١٤-طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت: ق١١هـ)، مكتبة العلوم والحكم _السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ_ ١٩٩٧م.

١٥-طبقات المفسرين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبعة: مكتبة وهبة_ القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

١٦-طبقات المفسرين: محمد بن علي ابن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية_ بيروت.

١٧-طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب ٥٠): محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، دار المعارف.

١٨-غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد ابن محمد ابن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الأولى، سنة: ١٣٥١هـ.

١٩-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: ١٠٦٧هـ) الناشر: مكتبة المثنى_ بغداد١٩٤١م.

٢٠-اللباب في تهذيب الأنساب: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار صادر – بيروت.

٢١-لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي ابن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، سنة ٢٠٠٢ م.
٢٢-المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، لأبي المعالي محمود شكري ابن عبدالله ابن محمود الألوسي (ت ١٣٤٢هـ)، طبعة: الدار العربية للموسوعات، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٧م.
٢٣-معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، طبعة: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ_ ١٩٩٣م.
٢٤-ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت _ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ _ ١٩٦٣م.
٢٥-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد ابن محمد ابن إبراهيم ابن أبي بكر ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، طبعة: دار صادر_ بيروت.

خامسًا: اللغة والمعاجم

١- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٢- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي_ بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.
٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، طبعة: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة١٤٠٧هـ_ ١٩٨٧م.
٤- طرق البحث العلمي: سعد عجيل مبارك الدراجي، وسعد إبراهيم

الشويشين، دار: سعد عجيل مبارك الدراجي بنغازي_ ليبيا، الطبعة: الأولي.

٥- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، طبعة: دار صادر _ بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

٦- مجمل اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة_ بيروت، الطبعة الثانية، عام: ١٤٠٦هـ _ ١٩٨٦م.

٧- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام: ١٣٩٩هـ_ ١٩٧٩م.

٨- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، طبعة: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٩- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية_ دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

Sources and references

First: The Holy Qur'an

Second: Interpretation and Qur'anic sciences

1- Perfection in the Sciences of the Qur'an: Jalal al-Din Abd al-Rahman al-Suyuti (d. 911 AH), edition: Dar al-Fikr, year: 1416 AH - 1996 AD.

2- Guiding the sound mind to the merits of the Holy Book "Tafsir Abi Al-Saud": by Abi Al-Saud Muhammad Ibn Muhammad Ibn Mustafa Al-Amadi (d. 982 AH), Dar Ihya Al-Tarath Al-Arabi - Beirut -.

3- Anwar al-Tanzeel and Secrets of Interpretation: by Nasser al-Din Abi Saeed Abdullah bin Omar Ibn Muhammad al-Baydawi (d. 685 AH), Arab Heritage Revival House - Beirut, first edition - 1418 AH.

4- Al-Bahr Al-Muhit fi Al-Tafsir: by Abu Hayyan

Muhammad Ibn Yusuf Ibn Ali Ibn Yusuf Ibn Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi (d. 745 AH), edition: Dar Al-Fikr - Beirut, Edition: 1420 AH.

5- Al-Tibyan fi Counting the Verses of the Qur'an: Abu Omar Othman bin Saeed Al-Dani Al-Andalusi, (444 AH), edited by: Dr. Ghanem Qadduri Al-Hamad, Publications Center for Manuscripts and Documents in Kuwait, first edition: 1414 AH - 1994 AD.

6- Liberation and Enlightenment, "Liberating the Correct Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book": Muhammad al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir bin Ashour al-Tunisi (d. 1393 AH), edition: Tunisian Publishing House - Tunisia, year: 1984 AH.

7- Interpretation of the Great Qur'an: By Abu Muhammad Abd al-Rahman bin Muhammad Ibn Idris Ibn al-Mundhir al-Tamimi, al-Hanzali, al-Razi Ibn Abi Hatim (d. 327 AH), edition: Nizar Mustafa al-Baz Library - Kingdom of Saudi Arabia, third edition: 1419 AH.

8- Interpretation of the Great Qur'an: by Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer Al-Qurashi Al-Basri, then Al-Dimashqi (d. 774 AH), Taiba Publishing and Distribution House, second edition, 1420 AH - 1999 AD.

9- Tafsir al-Maraghi: Ahmad bin Mustafa al-Maraghi (d. 1371 AH), Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Library and Printing Company in Egypt, first edition, 1365 AH - 1946 AD.

10- Interpretation of the Holy Qur'an: Muhammad Sayyed Tantawi, Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Al-Fagala - Cairo, first edition, year: 2007-2009 AD.

11- The Enlightening Interpretation in Doctrine, Sharia, and Methodology: Dr. Wahba bin Mustafa Al-Zuhayli: Dar Al-Fikr Al-Muazamir - Damascus, Second Edition, 1418 AH.

12- Jami' al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an: by Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amli, Abu Jaafar al-Tabari (d. 310 AH), edited by: Ahmed Muhammad Shaker, edition: Al-Resala Foundation, first edition, 1420 AH - 2000 AD.
13- Al-Jami` li Ahkam al-Qur'an = Tafsir al-Qurtubi: by Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad Ibn Abi Bakr bin Farah al-Ansari al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi (d. 671 AH), edition: Dar al-Kutub al-Misriyah - Cairo, second edition, 1384 AH - 1964 AD.
14- Hasan al-Maddad fi Ma'rifa the Art of Numbers: Burhan al-Din Ibrahim bin Omar al-Ja'bari (d. 732 AH), prepared by: Bashir Ibn Hassan al-Himyari, printed by the King Fahd Complex, in the year 1431 AH.
15- Hashiyat al-Shihab on the interpretation of al-Baydawi, called: The Care of the Judge and the Sufficiency of al-Radi, according to the interpretation of al-Baydawi: Shihab al-Din Ahmad al-Khafaji al-Masri al-Hanafi (d. 1069 AH).
16- An analytical study of the era of the Prophet Joseph, peace be upon him, in Egypt: Dr. Ibrahim Muhammad Bayoumi Mahran, Faculty of Arts, Ain Shams University, within Studies in the Antiquities of the Arab World.
17- The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis: by Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi (d. 1270 AH), edition: Dar al-Kutub al-Ilmiyya – Beirut, first edition, 1415 AH.
18- Zad al-Masir fi Ilm al-Tafsir: Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali Ibn Muhammad al-Jawzi (d. 597 AH), edited by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, first edition - 1422 AH.
19- Genesis: Eduardo Galeano, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, 2015 AD.
20- Qur'anic Stories Series - Surat Yusuf, Analytical Study: Dr. Ahmed Nofal - Faculty of Sharia -

University of Jordan, Dar Al-Furqan - Amman - Jordan, first edition: 1989 AD - 1409 AH.
21- Oddities of the Qur'an and Oddities of the Criterion: Nizam al-Din al-Hasan bin Muhammad bin Hussein al-Qummi al-Naysaburi (d. 850 AH), edited by: Sheikh Zakaria Amirat, Dar al-Kutub al-Ilmiyya – Beirut, first edition - 1416 AH.
22- Fath al-Qadir: by Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah al-Shawkani al-Yamani (d. 1250 AH), edition: Dar Ibn Kathir, Dar al-Kalam al-Tayyib - Damascus, Beirut, first edition, year: 1414 AH.
23- Al-Kashshaf fi Facts of Revelation and the Eyes of Sayings on the Faces of Interpretation: by Abu al-Qasim Mahmoud Ibn Omar al-Zamakhshari al-Khwarizmi, publishing house: Arab Heritage Revival House - Beirut.
24- Revealing and Explaining the Interpretation of the Qur'an: by Ahmed bin Muhammad bin Ibrahim Al-Thaalabi, Abi Ishaq (d. 427 AH), edition: Dar Ihya' al-Tarath al-Arabi, Beirut - Lebanon, first edition 1422 AH - 2002 AD.
25- Chapter on Interpretation in the Meanings of Revelation: by Aladdin Ali bin Muhammad bin Ibrahim Balkhazin (d. 741 AH), Edition: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, First Edition, 1415 AH.
26- The brief editor in the interpretation of the Mighty Book: by Abu Muhammad Abd al-Haqq bin Ghalib bin Abd al-Rahman bin Tammam bin Atiya al-Andalusi al-Muharbi (d. 542 AH), edition: Dar al-Kutub al-Ilmiyya – Beirut, first edition, year: 1422 AH.
27- Al-Lubab fi Ulum al-Kitab: Abu Hafs Siraj al-Din Omar bin Ali Ibn Adel al-Hanbali al-Dimashqi al-Numani (d. 775 AH), edited by: Sheikh Adel Ahmad Abd al-Mawjoud and Sheikh Ali Muhammad Moawad, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut/Lebanon, edition: first 1419 AH - 1998 AD.
28- Al-Khalan's Guide to Knowing the Number of Verses

of the Qur'an, Explanation and Guidance on the Verses of "Al-Fara'id Al-Hasan" by Abdel Fattah Al-Qadi: Prepared by Abdel-Razzaq Ali Ibrahim Musa, Al-Asriyya Library - Sidon - Beirut - Lebanon, first edition: 1409 AH - 1989 AD.

29- Milestones of Revelation in the Interpretation of the Qur'an = Tafsir al-Baghawi: Muhyi al-Sunnah, Abu Muhammad al-Husayn ibn Masoud ibn Muhammad ibn al-Farra' al-Baghawi al-Shafi'i (d. 510 AH), edition: Dar Ihya al-Turath al-Arabi - Beirut, first edition, 1420 AH.

30- Meanings of the Qur'an and its parsing: Ibrahim bin Al-Sari bin Sahl, Abu Ishaq Al-Zajjaj (d. 311 AH), edition: Alam Al-Kutub - Beirut, first edition 1408 AH - 1988 AD.

31- Keys to the Unseen: Fakhr al-Din Muhammad bin Omar al-Tamimi al-Razi al-Shafi'i (d. 606 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, first edition, year: 1421 AH - 2000 AD.

32- Nazm al-Durar in the proportionality of verses and surahs: Ibrahim bin Omar bin Hassan al-Ribat Ibn Ali Ibn Abi Bakr al-Baqa'i (d. 885 AH), Dar al-Kitab al-Islami, Cairo.

33- Jokes and Eyes: By Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi, famous for Al-Mawardi (d. 45 AH). Edited by: Al-Sayyid Ibn Abd al-Maqsoud bin Abd al-Rahim, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut/Lebanon.

Third: Hadith and its sciences

1- Comprehension in the Knowledge of Companions: Abu Omar Yusuf Ibn Abdullah Ibn Muhammad Ibn Abd al-Barr Ibn Asim al-Nimri al-Qurtubi (d. 463 AH), edited by: Ali Muhammad al-Bajawi, Dar al-Jeel, Beirut, first edition, 1412 AH - 1992 AD.

2- Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar of the affairs of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, his Sunnahs and his days = Sahih Al-Bukhari: Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-

Bukhari Al-Jaafi, edited by: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Dar Touq Al-Najat (photocopied from Al-Sultaniya with the addition of the numbering of Muhammad Fouad Abdul Baqi) Edition: First 1422 AH.

3- Evidence of prophecy and knowledge of the conditions of the author of Sharia law: Ahmad Ibn Al-Hussein Ibn Ali Al-Khorasani, Abu Bakr Al-Bayhaqi (d. 458 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, First Edition - 1405 AH.

4- Sunan Abi Dawud: Abu Dawud Sulaiman bin Al-Ash'ath Ibn Ishaq Ibn Bashir Ibn Shaddad Ibn Amr Al-Azdi Al-Sijistani (d. 275 AH), Edition: Al-Maktabah Al-Asriya, Sidon - Beirut.

5- Sunan al-Tirmidhi: by Muhammad bin Isa bin Sura bin Musa, al-Tirmidhi, Abi Issa (d. 279 AH), edition: Mustafa al-Babi al-Halabi - Egypt, second edition, 1395 AH - 1975 AD.

6- Al-Sunan Al-Saghir by Al-Bayhaqi: Ahmad bin Al-Hussein bin Ali bin Musa Al-Khusrawjerdi Al-Khorasani, Abu Bakr Al-Bayhaqi (d. 458 AH), edited by: Abdul Muti Amin Qalaji, Publishing House: University of Islamic Studies, Karachi - Pakistan, First Edition, 1410 AH - 1989 AD. .

7- Al-Mustadrak on the Two Sahihs: Abu Abdullah Al-Hakim Muhammad bin Abdullah bin Muhammad Al-Naysaburi, known as Ibn Al-Baya' (d. 405 AH), edited by: Mustafa Abdul Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, first edition, 1411 AH - 1990 AD.

8- The author and the one who differed: Abu Al-Hasan Ali Ibn Omar Ibn Ahmad Ibn Mahdi Ibn Masoud Ibn Al-Nu'man Ibn Dinar Al-Baghdadi Al-Daraqutni (d. 385 AH), edited by: Muwaffaq Ibn Abdullah Ibn Abdul Qadir, Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, First Edition, 1406 AH - 1986 AD.

9- Musnad of Imam Ahmad Ibn Hanbal: Abu Abdullah Ahmad Ibn Muhammad Ibn Hanbal Ibn Hilal Ibn Asad Al-Shaybani (d. 241 AH), edited by: Shuaib Al-Arnaut

- Adel Murshid, and others, supervised by: Dr. Abdullah Al-Turki, Al-Resala Foundation, Dar Al-Hadith, The Islamic Thesaurus, year: 1969 AD.

10- Sahih Muslim, "The authentic, brief chain of transmission of justice from justice to the Messenger of God, peace and blessings be upon him": Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Naysaburi (d. 261 AH) Verified by: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Publisher: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut.

11- Al-Mu'jam Al-Awsat: by Suleiman bin Ahmad Ibn Ayyub bin Mutair Al-Lakhmi Al-Shami, Abu Al-Qasim Al-Tabarani (d. 360 AH), edition: Dar Al-Haramain - Cairo.

12- Al-Mu'jam Al-Kabir by Al-Tabarani: Suleiman bin Ahmed bin Ayoub bin Mutair Al-Lakhmi Al-Shami, Abu Al-Qasim Al-Tabarani (d. 360 AH), edited by a team of researchers under the supervision and care of Dr. Saad bin Abdullah Al-Hamid and Dr. Khaled bin Abdul Rahman Al-Jarisi.

Fifth: Books of biographies and notables

1- The attention of narrators over the attention of grammarians: Jamal al-Din Abu al-Hasan Ali bin Yusuf al-Qifti (d. 646 AH), edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Fikr al-Arabi - Cairo, and the Cultural Books Foundation - Beirut, first edition, 1406 AH - 1982 AD.

2- The Lion of the Jungle in the Knowledge of the Companions: Abu Al-Hasan Ali bin Abi Al-Karam Muhammad bin Muhammad Al-Shaybani Al-Jazari, Izz Al-Din Ibn Al-Atheer (d. 630 AH), edited by: Ali Muhammad Muawad - Adel Ahmed Abdul Mawjoud, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Edition: First, year : 1415 AH - 1994 AD.

3- Al-I'lam: Khair al-Din ibn Mahmoud ibn Muhammad ibn Ali ibn Faris, al-Zirakli al-Dimashqi (d. 1396 AH), Dar al-Ilm Lil-Malayin, Edition: Fifteenth - Year: 2002 AD.

4- The Flags of Iraq by Al-Athari, "The Biography of Imam Al-Kabir Al-Alusi": Muhammad Bahja Al-Athari, Arab Encyclopedia House edition - Beirut, first: 1422 AH.
5- The Beginning and the End: by Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer Al-Qurashi Al-Basri and then Al-Dimashqi (d. 774 AH), Edition: Dar Hijr, Edition: First, 1418 AH - 1997 AD, Year of Publication: 1424 AH / 2003 AD.
6- In order to be aware of the classes of linguists and grammarians: Abdul Rahman, Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Modern Library - Lebanon/Sidon.
7- History of Baghdad: Abu Bakr Ahmad Ibn Ali Ibn Thabit Ibn Ahmad Ibn Mahdi Al-Khatib Al-Baghdadi (d. 463 AH), Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, first edition: 1422 AH - 2002 AD.
8- Tahdheeb al-Tahdheeb: Abu al-Fadl Ahmad Ibn Ali Ibn Muhammad Ibn Ahmad Ibn Hajar al-Asqalani (d. 852 AH), Regular Encyclopedia Press, India, first edition, 1326 AH.
9- Biographies of Noble Figures: Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad Qaymaz al-Dhahabi (d. 748 AH), Edition: Al-Risala Foundation, Edition: Third, 1405 AH / 1985 AD.
10- Gold Nuggets in News of Gold: Abd al-Hay bin Ahmad bin Muhammad Ibn al-Imad al-Akri al-Hanbali, Abu al-Falah (d. 1089 AH), edition: Dar Ibn Katheer, Damascus - Beirut, first edition, year: 1406 AH - 1986 AD.
11- The Characteristics of the Elite: Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman al-Jawzi (d. 597 AH), edited by: Ahmed bin Ali, Dar al-Hadith, Cairo, Egypt, edition: 1421 AH-2000 AD.
12- Layers of Preservation = Preservation Ticket: Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz al-Dhahabi (d. 748 AH), edition:

Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, first edition, 1419 AH-1998 AD.

13- The Great Classes: Abu Abdullah Muhammad bin Saad bin Muni' al-Hashemi with loyalty, al-Basri, al-Baghdadi known as Ibn Saad (d. 230 AH), edited by: Ihsan Abbas, Dar Sader - Beirut, first edition, 1968 AD.

14- Classes of Interpreters: Ahmad bin Muhammad al-Adna, one of the scholars of the eleventh century (died: 11th century AH), Library of Science and Wisdom - Saudi Arabia, First Edition, 1417 AH - 1997 AD.

15- Classes of Interpreters: Abd al-Rahman bin Abi Bakr al-Suyuti, edition: Wahba Library - Cairo, first edition: 1396 AH.

16- Classes of Interpreters: Muhammad ibn Ali ibn Ahmad, Shams al-Din al-Dawoodi al-Maliki (d. 945 AH), edition: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut.

17- Classes of Grammarians and Linguists (Arab Relics Series 50): Muhammad bin Al-Hasan bin Ubaidullah bin Madhaj Al-Zubaidi Al-Andalusi Al-Ishbili, Abu Bakr (d. 379 AH), edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, second edition, Dar Al-Ma'arif.

18- Ghayat al-Nihaya fi Tabaqat al-Reciters: Shams al-Din Abu al-Khair Ibn al-Jazari, Muhammad Ibn Muhammad Ibn Yusuf (d. 833 AH), Ibn Taymiyyah Library, First Edition, Year: 1351 AH.

19- Revealing suspicions about the names of books and arts: Mustafa bin Abdullah, the writer of Chalabi of Constantinople, known as Haji Khalifa or Al-Hajj Khalifa (d. 1067 AH). Publisher: Al-Muthanna Library - Baghdad, 1941 AD.

20- Al-Lubab fi Tahdheeb Al-Ansab: Abu Al-Hasan Ali bin Abi Al-Karam Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim bin Abdul Wahed, Izz Al-Din Ibn Al-Atheer (d. 630 AH), Dar Sader - Beirut.

21- Lisan al-Mizan: Abu al-Fadl Ahmad ibn Ali ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Hajar al-Asqalani (d. 852

AH), Dar al-Bashaer al-Islamiyyah, first edition, year: 2002 AD.
22- Al-Musk Al-Athfar fi Nashar Al-Mazayat Al-Twelfth and Thirteenth Centuries by Abu Al-Ma'ali Mahmoud Shukri Ibn Abdullah Ibn Mahmoud Al-Alusi (d. 1342 AH), Edition: Arab House of Encyclopedias, First Edition 1427 AH - 2007 AD.
23- Dictionary of Writers = Guiding the Unintelligible to Knowing the Writer: Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah al-Rumi al-Hamawi (d. 626 AH), edition: Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, first edition, 1414 AH - 1993 AD.
25- Deaths of Notables and News of the Sons of the Time: Abu Abbas Shams al-Din Ahmad Ibn Muhammad Ibn Ibrahim Ibn Abi Bakr Ibn Khalkan (d. 681 AH), Edition: Dar Sader - Beirut.

Fifth: Language and dictionaries

1- The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary: Muhammad bin Muhammad bin Abd al-Razzaq al-Husseini, Abu al-Fayd, nicknamed Murtada, al-Zubaidi (d. 1205 AH), edited by: a group of investigators, publisher: Dar al-Hidaya.
2- Refinement of the Language: Muhammad bin Ahmad bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour (d. 370 AH), edited by: Muhammad Awad Marib, Arab Heritage Revival House - Beirut, first edition, 2001 AD.
3- Al-Sihah, Taj Al-Lughah, and Sahih Arabic: Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari Al-Farabi (d. 393 AH), edition: Dar Al-Ilm Lil-Millain - Beirut, fourth edition: 1407 AH - 1987 AD.
4- Scientific research methods: Saad Ajeel Mubarak Al-Daraji, and Saad Ibrahim Al-Shuwaishin, Dar: Saad Ajeel Mubarak Al-Daraji, Benghazi - Libya, first edition.
5- Lisan al-Arab: Muhammad bin Makram bin Ali, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifi'i al-Ifriqi (d. 711 AH), edition: Dar Sader - Beirut, third edition - 1414 AH.

6- Majmal al-Lughah: Ahmad bin Faris bin Zakaria al-Qazwini al-Razi, Abu al-Hussein (d. 395 AH), study and investigation: Zuhair Abdul Mohsen Sultan, publishing house: Al-Resala Foundation - Beirut, second edition, year: 1406 AH - 1986 AD.
7- Dictionary of Language Standards: Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (d. 395 AH), edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, year: 1399 AH - 1979 AD.
8- The Intermediate Dictionary: Ibrahim Mustafa Ahmed Al-Zayat, Hamid Abdel Qader, Muhammad Al-Najjar, edition: Dar Al-Da'wa, investigation: Arabic Language Academy.
9- Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an: Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, known as Al-Raghib Al-Isfahani (d. 502 AH), edited by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, first edition, 1412 AH.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص	١٠٣
المقدمة.	١٠٥
المطلب الأول: أسماء السورة، وعدد آيات السورة.	١٠٩
المطلب الثاني: زمان نزول السورة.	١١٠
المطلب الثالث: سبب نزول السورة	١١١
المطلب الرابع: فضائل السورة	١١١
المطلب الخامس: المناسبات المتعلقة بالسورة.	١١٢
المطلب السادس: مقاصد السورة وأغراضها.	١١٤
مقاصد السورة.	١١٤
أغراض السورة.	١١٥
المبحث الثاني: الألفاظ والألقاب في سورة يوسف.	١١٧
المطلب الأول: ذكر لفظ السجود.	١١٩
المطلب الثاني: لفظ "الرَّبِّ".	١٢١
المطلب الثالث: لفظ "السيد".	١٤٣
المطلب الرابع: لقب "العزيز".	١٤٩
المطلب الخامس: لفظ "الخمر".	١٥٣
المطلب السادس: لقب "المَلِك".	١٥٨
المطلب السابع: لفظ "الدين".	١٦٥
الخاتمة.	١٧٣
فهرس المصادر والمراجع.	١٧٤
فهرس الموضوعات.	١٩٤